سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر ١

الاستشراق اليهودي المعاصر المنهج والغايات

د. محمود كيشانه

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

الاستِشراقُ اليَهوديُّ المُعاصر
المَنهجُ والغايات

د. محمود كيشانه

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر ١

الاستشراق اليهودي المعاصر
المنهج والغايات

د. محمود كيشانه

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر

طالما كان الاستشراق قرين الاحتلال، فالعلم العاري من الضوابط الأخلاقية والإيمانية وحده القادر على تشخيص مواطن الضعف في الأمم المستهدفة، وتحليل أفكارها ورصد ظواهرها الاجتماعية، واليوم تقوم بنفس الدور مراكز التفكُّر والدراسات، فقد أصبحت مراكز الدراسات والجامعات والكراسي الأكاديمية أداة فعّالة فيما يسمى بـ «الاستشراق المعاصر»، وكما كانت دائمًا، أداة فعّالة في الاحتلال الفكري والإرهاب النفسي. لذلك، وفي سياق المواجهة في الحرب الثقافية، قررنا في «مركز براثا للدراسات والبحوث» ومن خلال (سلسلة نقد الاستشراق المعاصر) أن نسلّط الضوءَ على المنظومة الجديدة للاستشراق، والتي تطرح نفسها من خلال منهجياتٍ ومقارباتٍ ومصطلحاتٍ جديدة، لكنها تخدم نفس الأهداف القديمة، وهو استهدافٌ الحضارةَ الإسلامية في عمودها الفقري، وهو منظومتها القيمية والمعرفية.

وبالرغم من زعم كثيرٍ من الباحثين العرب والمسلمين والغربيين أن الاستشراق قد مات، إلا أن من يدخلُ في أعماق ما يدور في العصر الحاضر في أوساط أقسام (دراسات الشرق الأوسط) في الجامعات الغربية، والمؤتمرات حول (قضايا العالم الإسلامي)، وورش العمل، وما يُعقد من ندوات ومؤتمرات وما يتم من برامج وتخطيط. يدرك أن ما يدور في العالم الغربي من اهتمامٍ بالإسلام إنما هو استمرار لبعض أهداف الاستشراق القديمة مع اختلاف في الوسائل والمناهج، فعسى أن تكون هذه السلسلة مشجعةً لنا في العالم الإسلامي أن نعطي البحث العلمي بعض الأهمية، فليس التقدم مرتبطًا فقط بالطب والهندسة والتقنية، ولكن العلوم الاجتماعية أيضًا تستحق أن ينفق عليها كما ينفق في المجالات الأخرى.

مقدمة

يُمثِّلُ الاستشراقُ اليهوديُّ المعاصر صورةً من صور التعصُّب للعَقيدة، وهذا التعصُّبُ هو الذي كان يقودُ الاستشراقَ في دراساته حول الإسلام، وهو الذي يُفسِّر لنا لماذا كان دائمَ التَّشويه لكلِّ ما هو إسلاميٌّ، ولذلك يتحتَّم علينا فضحُ هذا النَّوع من الاستشراق، والسَّعيُ الدائم إلى بيان ما انطوى عليه من مزاعم، والردُّ عليها، وكشفُ الرَّكائز الهشّة التي يَستند عليها، ويتَّخذُها مُنطلَقًا له.

ويُشكِّلُ الاستشراقُ اليَهوديُّ ركنًا رئيسًا من أركان الاستشراق الغربي، إذ كان المستشرقون اليَهود مشاركين بصورة كبيرة في حركة هذا الاستشراق، الذي عمد إلى دراسة الشرق دراسة عدائية ومُنحازة من جوانب مُتعدِّدة. وقد مَرَّ هذا الاستشراق اليهودي بثلاث مراحل: مرحلة الاستشراق اليهودي، مرحلة الاستشراق الصهيوني، مرحلة الاستشراق الإسرائيلي. وكلُّ مرحلة من هذه المراحل كانت لها مناهجها وغاياتها المُتشابهة التي تصبُّ في النهاية في الإطار العام للاستشراق اليهودي.

إنَّ الاستشراق اليهودي كان استشراقًا عدائيًّا مُتعصِّبًا من الدرجة الأولى،

وكان له أعلامُه العدائيُّون الذين دخلوا مجالَ الاستشراق بكلِّ قوة، من خلال دراساتهم التي عمدَت إلى تشويه الإسلام عقيدةً وفِكرًا وعُلومًا مُنطلقةً من منظورها اليهودي، ومن هؤلاء الأعلام (إبرهام جيجر - Abraham Geiger)، و(جولدتسهير - Goldziher)، و(شاخت - Schacht)، و(برنارد لويس - Bernard Lewis)، وغيرهم ممَّن تنوَّعَت مشاربُهم بين الدِّراسة العقدية والسياسية والثقافية العلمية، وقليل منهم مَن كانت مشاربه عِلميّةً ثقافية.

أهداف الدراسة

إنَّ أوَّلَ أهداف هذا الكتاب هو فضحُ الاستشراق اليهودي المعاصر، ونقدُه النَّقدَ العلمي والموضوعي، وبيانُ دورِه اللاعلمي كحلقة من حلقات الاستشراق اليهودي القَديم، والاستشراق الغربي أيضًا.

ومن أهداف هذا الكتاب تناوُلُ الاستشراق اليهودي بالتَّحليل والنَّقد، ومحاولةُ فَهمه في سياق الاستشراق الغربي العامّ، خاصةً أنَّ مثلَ هذا النَّوع من الاستشراق كان له تأثيره الخطير، إذ أعطى صورةً سلبيّةً عن الإسلام، كان لها تأثيرها السَّلبي على نظرة الغرب له، بجوار الاستشراق الغربي العامّ.

ومن أهم أهداف الكتاب كذلك الوقوفُ تحليلاً ونقدًا على الموضوعات التي كانت في حيِّز اهتمام الاستشراق اليهودي، وهي الموضوعات التي كان يَتناولها بغرض تَشويه عقيدةِ الإسلام، وشخصية النبيِّ الكريم ورسالته، وتقديم فكرة مُشوَّهة عن الإسلام والمسلمين، من نحو النَّزعة التأثيرية، والنَّزعة

الشكّية، وكيفية اتّخاذ المواقف السياسية، وغير ذلك من الموضوعات.

فضلاً عن أنَّ من أهدافه الرئيسة الكشفَ عن المناهج التي سار عليها المُستشرقون اليَهود، واتَّخذوها أداة وطريقة لدراسة الموضوعات حول الإسلام عقيدة وفكرًا، ونقدها وفضحها وبيان ما تقوم عليه من عوار منهجيٍّ، ومِن ليِّ عُنق المناهج لخدمة أغراضهم غير العلمية، وإنْ تستَّرت بستار المَنهجيّة. وهي مناهج مُتعدِّدة في رأيي، لكنها لا تَخرج في النهاية عن تحقيق الهدف العامّ للاستشراق اليَهودي عامّةً.

يُضاف إلى ذلك أنَّ من أهداف الكتاب الوقوفَ تحليلاً ونقدًا على الغايات التي سَعى الاستشراق اليهوديُّ إلى تحقيقها عن طريق دراسة الإسلام. وهي غايات أهمُّها: الغاية العقدية، والغاية السياسية، والغاية الثقافية غير الخالصة، زيادة على أهداف أخرى تفصيلية تَنبثق من هذه الغايات الثَّلاث.

الدِّراسات السابقة

يُمكن القولُ بأنَّ الدِّراسات حول الاستشراق اليهودي قليلةٌ بل نادرة، وسوف نَقف على أهمِّ هذه الدراسات، وهي:

الأولى: دراسة الدكتور (محمد خليفة حسن)، التي تَحمل عنوان: "المدرسة اليهودية في الاستشراق"، وهي دراسة منشورة بمجلة "رسالة المشرق"، وتَقف على أنواع الاستشراق اليهودي: اليَهودي والصهيوني و"الإسرائيلي"، والآثار الخطيرة المُترتِّبة عليه في واقعنا الإسلامي.

الثانيــة: دراســة الدكتــور (محمــد جلاء إدريــس)، التي تَحمــل عنوان: "الاســتشراق الإسرائيلي في المصادر العِبرية"، وهي دراسة صادرةٌ عن دار العربي للنشر والتوزيع، عام ١٩٩٥م، وهي الدراســة التي وقفَت على نوع واحد من أنواع الاستشراق اليهودي، وهو الاستشراق "الإسرائيلي".

الثالثة: دراســة (محمد عبد الرحيم الزيني)، الموســومة بــ "الاستشراق اليهــودي، رؤية موضوعية"، مصر، والصادرة عن دار يقين للنشر والتوزيع، الطبعــة الأولى، ١٤٣٢هـــ - ٢٠١١م، وهــي الدراســة التــي وقفَــت عند الاســتشراق اليهــودي، وبيــان الموضوعات التــي دخلَ منهــا، وحاكَ من خلالها شُبهاته.

وهذه الدِّراســات وغيرُها دراســاتٌ جادّةٌ حاولَت أن تكشفَ الاستشراقَ اليهودي، وتَقِفَ على الشُّــبهات التي أثارها، مع إشارات بسيطة إلى بعض المناهج التي اســتخدمها، والغايات التي كان يَرمي إليها. فلم يكن الهدفُ منهــا البحثَ في المَنهــج والغاية، بقدر ما كان الغــرضُ منها الوقوفَ على معنى الاســتشراق اليَهودي وأنواعه وموقفه من الإســلام، ومــن ثَمَّ توارَت الغايــةُ والمنهج خلفَ هذا الغرض، فكانَت مهمَّتنا هنا البحثَ عن المناهج والغايات التي برزَت في الاستشراق اليهودي بأنواعه المختلفة.

يُضاف إلى ذلك أنَّ هذه الدِّراســات وقفَت عند الاستشراق اليهودي منذُ نشأته في سياق الاستشراق الغربي بعمومه، أي أن هذه الدراسات، باستثناء القليــل منها، بحثَت في الاســتشراق اليَهودي القديــم، وبعضُها تطرَّقَ إلى

مناقشةِ الاستشراق المعاصر منه، ونحن سوف نقتصر على الاستشراق اليهودي المعاصر.

إشكاليّة الكتاب

يُمكن القولُ إنَّ إشكالية البحث الرَّئيسة تتمثَّل في السُّؤال الآتي:

إنَّ إشكالية الكتاب الرَّئيسة هي نقدُ الاستشراق اليهودي المعاصر، وفَضحُه وبيانُ تهافته، من خلال الإجابة على سؤال جوهري مُؤدّاهُ: ما الغايةُ التي يَسعى إليها الاستشراقُ اليَهوديُّ المُعاصر؟ وما المنهج الذي يَسلكه للوصول إليها؟

وفي ضَوء هذه الإشكالية أو التَّساؤل الرَّئيس تَنبثق مجموعةٌ من الإشكاليات أو التَّساؤلات الفرعية، يمُكن عرضُها في الآتي:

ما الاستشراقُ اليهوديُّ المعاصر؟ وما مَوقعُه الآثِم والخطير في سياق الاستشراق اليهودي خاصّةً والاستشراق الغربي عامّةً؟ وما النُّقود التي يمُكن أن تُوجَّه لهذا النَّوع من الاستشراق؟ وكيف يمُكِنُنا أن نَفضحه ونكشفَ بُطلانَه في مَوقعيّته من الاستشراق الغربي عامّةً، وفيما يَرتكز عليه من ركائز وما يَنطلِقُ منه؟

وهل يَقف في دراسة الإسلام عقيدةً وفِكرًا عند حيِّز مَنهجٍ واحد؟ وبمعنى آخر هل انطلقَ الاستشراقُ اليهوديُّ المعاصر من مَنهجٍ واحد؟ أم اعتمد على مجموعة من المناهج التي خدمَت الغايةَ التي انطلقَ إليها؟ وما هذه

المناهج؟ وهل هي مناهجُ علميّة؟ أما شـابَها التعصُّب والبُعدُ عن العِلميّة في تطبيقها؟ وكيف تكشِـفُ لنا هذه المَناهجُ عَوار هذا الاستشراق؟ وكيف يَتسـنَّى لنا نقدُ هذه المناهج والكشـف عن التطبيقات الخاطئة لها من قِبَلِ هذا الاسـتشراق لتحقيق أهدافٍ ومَرامٍ غير منهجية وغير علمية؟!

وما الغايات التي سَـعى إليها الاستشراق اليهوديُّ المعاصر؟ هل نستطيع أن نجد غايات عقدية تنتصر للعَقيدة اليهودية؟ وهل نستطيع أن نجد غايةً سياسية تُرسِّـخ للأفضلية لشـعب دون آخر، أو تحاول القضاء سياسـيًّا على الإسـلام والمسلمين؟! وهل لنا أن نجد غاية علمية ثقافية في خضم هذا الاستشراق؟

ومـا الذي يمُكن أن يُقدِّمه لنا هذا الكتـاب من نقد لهذه الغايات الخبيثة التي لم يَكن لها صِلةٌ بالعلم والمَنهج، وإنَّما كان هدفُها بعيدًا تمامًا عنهما؟!

محاور الدراسـة

وفي ضوء هذه الإشكاليات والتساؤلات تتحدَّدُ محاورُ هذا الكتاب، وهي:

الأول - الاستشراق اليهودي المعاصر تعريفه وموقعه في سياق الاستشراق عامة.

أ. تعريف الاستشراق اليهودي المعاصر ونقدُه.

ب. بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي ونقدهما.

ج. نقدُ أنواع الاستشراق اليهودي.

الثاني - نقدُ مناهج الاستشراق اليهودي المعاصر.

أ. نقد المنهج الشكيِّ.

ب. نقد منهج التأثير والتأثُّر.
ج. نقد منهج المُقابَلة والمُطابَقة.
د. نقد المنهج الإسقاطي.
هـ. نقد المنهج التَّحليلي.
و. نقد المنهج النَّفسي الذِّهني.
ز. نقد المنهج النَّقدي.

الثالث - نقد غايات الاستشراق المعاصر.
أ. نقد الغاية العقدية.
ب. نقد الغاية السياسية.
ج. نقد الغاية الثقافية العلمية.

المنهج المُعتمَد

يعتمد هذا الكتاب على المَنهج التَّحليلي، الذي يُحلِّل الاستشراقَ اليهوديَّ المعاصر ومناهجه وغاياته، والمنهج النَّقدي الذي يَفضحه ويُبيِّن تهافُتَه وما يقوم عليه من عوار، ويُوجِّه إليه ما يَستحقُّه من أوجه النَّقد الذي يَعتمد على بُعدين: ديني عقدي ومعرفي عقلي.

الاستشراق اليهودي المعاصر- تعريفه وموقعه في سياق الاستشراق عامّةً

أولًا: تعريفُ الاستشراق اليهودي المعاصر ونقدُه.

لا شـكَّ في أنَّ الاسـتشراق كان حركـةً تهـدف إلى دراسـة الـشَّرق من مختلـف الجوانب بهدف فَهمه، ومِن ثَمَّ السَّـيطرة عليه واسـتنزاف خيراته والعبـث بمُقدَّراته، وقد اختلفَت التَّعريفات التي أدلى بها الدّارسـون حول الاسـتشراق، لكنها تَنطلق في النهاية مـن الغاية التي يَنطلق منها، والمَرامي التي يَرمي إليها، ومن الوسيلة التي يتَّكِئُ عليها للوصول إلى هذه الغاية.

وقبـل الشُّروع في بيـان تعريف الاسـتشراق اليهـودي نُعـرِّجُ أوَّلًا على تَعريفات بعض الدّارسين للاستشراق عامّةً:

يُعرِّف (إدوارد سـعيد) الاسـتشراقَ بأنَّه: "أسـلوبٌ في التَّفكير مبنيٌّ على تميُّـز مُتعلِّق بوجـود المعرفة بين «الشَّرق» و «الغرب»... الاسـتشراق ليس مجـرَّدَ موضوعٍ سـياسي أو حقل بحثي يَنعكس سـلبًا باختـلاف الثَّقافات والدِّراسـات أو المُؤسَّسات، وليس تكديسًا لمجموعة كبيرة من النُّصوص حول المَشرق... إنَّه توزيـع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية، وفي فقه اللُّغة وما شـابَهَ ذلك في المجال المعرفي، أو العلـم الذي يُتوصَّل بـه إلى الشَّرق بصـورةٍ مُنظَّمة، كموضـوع للتَّعلُّم والاكتشـاف والتَّطبيق... نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغـرب للشَّرق"[1]. ولا يَخفى ما في هذا التَّعريف من إسـهاب، ونعتقد أنَّ الجزء الأخير منه يُعبِّر بصورة أو بأخرى عن حقيقة الاستشراق.

---

١ - إدوار سعيد: الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص ٣٧.

ويُعرِّفه (أحمد عبد الحميد غراب) بأنَّه: "أسلوب فكريٌّ غربيٌّ يَقوم على أنَّ هناك اختلافًا جذريًّا في الوجود والمعرفة بين الشرق والغرب، وأن الثّاني يَتميَّز بالتفوُّق العُنصري والثَّقافي على الأوَّل"[١]، وهذا التعريف يُشير إلى المُرتكزات أو المُنطلقات التي يَنطلق منها الاستشراقُ لا أكثر، ولا يُشير إلى أيٍّ من المنهج والغاية.

أما (رودي بارت - Rudi Paret) المستشرق الألماني فيُعرِّف الاستشراقَ تعريفًا أراهُ مَنقوصًا؛ حيث يُعرِّفُه بأنَّه: "العلمُ الذي يَسعى إلى تعلُّم لغةٍ خاصّة. ويُدْعى هذا العِلمُ عِلمَ الشَّرق، وعِلمَ العالم الشَّرقيّ"[٢].

والحقيقة أنَّ الاستشراق الغربيَّ لا يَنفصل في العديد من مراحله عن الاستشراق اليهودي، كون الأخير واحدًا من أذرُعِه الرَّئيسة، فقد كان المستشرقون اليهودُ يتزيَّون بزيِّ جنسيات أوروبية؛ وكانوا يُحقِّقون مُرادَ الاستشراقَيْن: الغربي واليهودي، ومِن ثَمَّ فلم يَنفكَّ الثاني عن الأوَّل مطلقًا.

وعلى كلِّ حالٍ فإذا انتقلنا إلى تعريف الاستشراق اليهودي، "فإنَّ 'الاستشراق اليهودي' هو 'الحركة العلمية اليَهودية' التي تَهدف إلى دراسة كلِّ شؤون الشَّرق الإسلامي، السِّياسية، والاقتصادية، والتاريخية،

---

١ - أحمد عبد الحميد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٧.

٢ - رودي بارت: الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة، ص ١١. & انظر: أحمد محمود هويدي: مدخل إلى الاستشراق ومدارسه، ص ٥.

والجغرافية، والأنثروبولوجية، وغيرها، من خلال اتِّباع منهج ديني، والهيمنة على البلدان الإسلامية؛ من أجل تَحقيق أهدافها الدِّينية والسِّياسية، وتحقيق الهَيمنة العلمية على العالم الإسلامي"[١].

وهذا التَّعريف يَقودنا إلى بيان حدود دراسة الاستشراق اليهودي، وهي تَشمل جلَّ ما يتعلَّق بالشَّرق إن لم يكن كلّه، وإلى بيان أحد المناهج المستخدمة -وليس كل المناهج- في هذا الاستشراق، وإلى بيان المَرامي التي يَهدف إليها من وراء هذه الدراسة.

وباعتبار الاستشراق الإسرائيلي صورةً معاصرة من صور الاستشراق اليهودي العام[٢] فإنَّ أحد الباحثين المعاصرين يُركِّز على اللُّغة العِبرية في تعريفه، فيقول: "هو حصيلة علميّة في مجال الدراسات والبحوث الإسلاميّة المكتوبة باللُّغة العِبريّة، من قِبَل علماء وباحثين إسرائيليين، مُتخصِّصين بالدِّراسات الإسلاميّة والعربيّة."[٣]، ولكنَّنا نظنُّ أنَّ حصر الاستشراق الإسرائيلي في مجرَّد الإنتاج الصادر باللُّغة العبرية لا يُعبِّر عن مضمونه، كما أنَّه يَحصره في إطار ضيِّق، ويمَنع من الوقوف الحقيقي عليه، بدليل أنَّ من المستشرقين الإسرائيليين أنفسهم مَن كتبَ بعضَ إنتاجه بغَير اللُّغة العِبرية.

---

١ - فاطمة جان أحمدي: "الاستشراق اليهودي.. هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب".

٢ - محمد خليفة حسن: المدرسة اليهوديّة في الاستشراق، ص.ص. ٦٣-٦٤.

٣ - محمد خليفة حسن: المدرسة اليهوديّة في الاستشراق، ص.ص. ٦٤-٦٥.

ولكن يَبقى هذا النَّوع من الاستشراق في مراحله الثَّلاث استشراقًا ذا قراءة عدائية، لا تُقيم وزنًا للعِلم ولا للمَناهج العلمية؛ لأنَّه يَنطلِقُ من أرضيّةٍ تَعصُّبيّة صِرفة، لا مكانَ لها في دائرة العلم الحقيقي المُنتج. وهذا ما نجده واقعًا عند أعلام الاستشراق اليهودي المعاصر، من أمثال: (برنارد لويس)، و(شالوم زاوي - Rabbi Shalom Zaoui)، و(أوري روبين - Uri Rubin)... وغيرهم.

ثانيًا: بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي ونقدهما

يُمكن القولُ إن الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي صنوانِ، أو إن شئنا لَقُلنا إنَّ الأول بالنسبة للثاني كالرُّكن من البيت، أو كالعُضو من سائر أعضاء الجسد، وذلك لأنَّنا نعلم أنَّ الاستشراق اليهوديَّ بدأ مسيرتَه الاستشراقية في كنف الاستشراق الغربي، لكنَّ المستشرقين حينها لم يُفصحوا بالطَّبع عن هويتهم الاستشراقية، وعملوا من خلال جنسياتهم الأوروبية.

ولقد ظلَّت العلاقةُ بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي قائمةً حتى وقتنا هذا، وعلى الرغم من أن الاستشراق اليهودي المعاصر أفصحَ عن ذاته، فإنَّ هذه العلاقة تترسَّخ يومًا بعد يوم، بل إنَّ السياسة العالمية، التي تَبني مواقفَها في الغالب على المراكز الاستشراقية في الغرب وأمريكا، استعانَت ولا زالَت بآراء الاستشراق اليهودي والمستشرقين اليهود المعاصرين من أمثال (برنارد لويس) وغيره.

ولعلَّ الاستشراقَيْن: اليهودي والغربي كانت الغايةُ عندهما واحدة، فكلاهما حاول أن يُقدِّم خدمةً لعقيدته وكيانه السياسي على حساب العلم والحقيقة المعرفية، ولذا غلبَت القراءة العقدية اليهودية في الاستشراق اليهودي، كما غلبَت القراءة العقدية النصرانية غالبًا في الاستشراق الغربي، وهذا ليس تجنِّيًا عليهما، ولكنَّه الحقيقة التي تَنطق بها كتبُهم وإنتاجهم الذي يُعدُّ حكمًا عليهم عند مواجهته بالحجج العقلية والدِّينية والمعرفية الإنسانية.

وبالنَّظر إلى الاستشراق القديم نجد مثلاً المستشرق (إبراهام جايجر) اتَّجه اتِّجاهًا عقديًّا بالأساس، فحاول أن يُثبِتَ أنَّ القرآن نسخةٌ من التوراة، أو أن الإسلام مُقتبَس من اليهودية في كتابه: ماذا أخذ محمد من اليهودية؟ كما نجد المستشرق (سانت كلير تيسدال - St. Clair Tisdall) نَحا النَّحوَ ذاته، عندما حاول إرجاع النصوص القرآنية إمَّا إلى نصوص التوراة وإما إلى نصوص الإنجيل، زاعمًا أن القرآن مأخوذ من الديانتَينِ اليهودية والنصرانية وعقائد أخرى شتَّى.

هذا يَعني أنَّ المُنطلَق في أغلب جوانبه كان مُنطلَقًا عقديًّا بالأساس، أو بتعبير آخر لخدمة أهداف عقدية يَرتئيها المُستشرق.

وبالنَّظر إلى الاستشراق اليهودي المعاصر نجد أنَّ الغاية العقدية غالبةٌ عليه، كما هو الحال في الاستشراق الغربي، والمُتأمِّل فيما نُقل عن (شالوم زاوي) وأوري روبين يجد أنَّ هذه الغاية تتملَّكُهما بجوار غاياتٍ أُخرى كالغاية السِّياسية مثلاً. وهذا ما سنفرد له مساحةً من النَّقد في صفحاتٍ قادمة.

ومـمَّا يَجمع الاسـتشراقَين: اليهودي المعـاصر والغربي أنَّهـما يَنطلقان مـن غاية أخرى، وهـي غايةٌ سياسـية، ونحن حين نذكـر الانطلاقةَ الأولى للاستشراق الغربي، التي كانت تُقدِّم خدمات للاحتلال الغربي لبلاد الشَّرق، نسـتطيع القولَ بأنَّ الاحتلال الغربي، المُسـمَّى خطأً بالاستعمار، كان الابنَ البِكر للاسـتشراق. وهذا الأمر لا نُغفلُه في الاسـتشراق اليهودي المعاصر، الذي لا تَخفى على كلِّ ذي عَينَين دوافعُه السياسية لخدمة الكيان الصهيوني في فلسـطين، ولتأكيـد ذلكَ يَكفـي أن نُلقـيَ نظرةً على إنتاج المسـتشرق اليهودي (برنارد لويس)، الذي اسـتخدم كلَّ أدواته الاستشراقية في التَّرسيخ لهذا الكيان وخدمة وجوده، من خلال قراءات جعلَت دفّةَ الإدارة الأمريكية تتَّجِهُ دومًا نحو العَداء للعرب، والتَّمكين لهذا الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

بيـدَ أنَّه لم تظهر هـذه التَّوأمةُ -إن صحَّ التَّعبير- بينَ الاسـتشراق اليهودي والاسـتشراق الغربي في الغايات التي انطلَقا منها فحسبُ، بل تَظهر كذلك في المناهج المُعتمَدة، فهي مناهج واحدة تَقريبًا، قوامُها: المنهج الشـكيِّ، ومنهج التأثـير والتأثُّر أو المقابلة والمطابقة، والمنهج الإسـقاطي، وغيرها من المناهـج التي أعدَدْنا فصلاً خصيصًـا لها، ناقدينَ لهـا ومُبيِّنينَ تَهافُتَها وعدم انسـجامها مع أي منهج علمي؛ خاصةً مع ما تُقدِّمُه من نتائج مخالفة ومُجترّة اجترارًا، تحقيقًا لأهداف يُريدها المسـتشرقُ طبقًا لِمُنطلَقِه العقدي أو الفكري.

ثالثًا: نقد أنواع الاستشراق اليهودي

يُمكن القول إنَّ الاستشراق اليهودي، كما قسَّمَه الدّارسون المُختصُّون، مرَّ بثلاث مراحل، كلُّ مرحلة تَحمل نوعًا من أنواعه، وهذه الأنواع هي:

١ - الاستشراق اليهودي

وهذا النَّوع نشأ مع البواكير الأولى للاستشراق الغربي، وكان يَهدف إلى غاية عقدية واضحة، بدليل استخدام منهج التأثير والتأثُّر، ومن ثَمَّ كان أرباب هذا النَّوع من الاستشراق يُحاولون البحث عن أوجه التَّشابُه بين القرآن أو الإسلام عامة واليهودية، فزعموا اقتباس القرآن من اليهودية، وقد عوَّلوا كثيرًا على موضوعات القَصص القرآني. ومن أئمّة هذا النَّوع من الاستشراق المستشرقُ اليهودي (إبراهام جايجر)، الذي كرَّس جهودَه الاستشراقية لمُحاوَلة النَّيل من القرآن الكريم والإسلام كدين وعقيدة.

٢ - الاستشراق الصهيوني

وهذا النَّوع نشأ لتحقيق المَطامع الصهيونية في امتلاك الأرض، ولتحقيق السَّيطرة على العالم، وإقامة مملكة كونيّة يكون فيها اليَهود هم السّادة، وما دُونَهم العبيد؛ تَحقيقًا لنبوءتهم المَزعومة بأنَّهم شعبُ الله المختار[1].

ومن ثَمَّ فقد كان وسيلةَ تحكُّم وسيطرة على العالم علميًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا

---

١ - انظر: محمد عبد العظيم المطعني: أوروبا في مواجهة الإسلام - الوسائل والأهداف، ص١١٣.

وسياسيًّا. وهذا الاستشراق يَهدف إلى ترسيخ فكرتَينِ أساسيَّتَينِ بجوار أفكار أخرى فرعية، وهما: أنَّ الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، ومحاولة شرعنة الوجود اليهودي الإسرائيلي في فلسطين. وفي ضوء هاتين الفكرتين يَجوب الاستشراق الصهيوني، إعلاميًّا وسياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا. ومن خلال هذه الأدوات استطاعَت الصهيونية فرضَ هاتَينِ الفِكرتَينِ وغيرهما على الفِكر الغربي[١].

وقد وقف بعضُ الدّارسين على حقيقة الاستشراق والمَشروع الصهيوني[٢]، ذاهبينَ إلى أنَّ الصهيونية استفادَت من الاستعمار الغربي للشَّرق، كما استفادَت من الاستشراق الغربي ذاته. علمًا بأنَّ هناك العديد من أعلام الدَّعوة إلى الصهيونية من المستشرقين، وقد حصرهم بعض الدارسين في (سالمون مونك - Salomon Munk) و(جولدزيهر) وغيرهما[٣].

ولعلَّ أبرز مثال على الاستشراق الصهيوني المُستشرق المعاصر (برنارد لويس)، الذي كرَّسَ حياتَه لخدمة اليهود والصهيونية، وكان لإنتاجه وأبحاثه الاستشراقية أثرُها في تغيير دفّة السياسة الأمريكية، وربمَّا العالمية، إلى كراهية العرب والانتصار لليهود في فلسطين، وما السياسات التي تتَّخذها أمريكا

---

١ - انظر: أنور الجندي: "عالم الإسلام المعاصر"، ص٣١٨.

٢ - انظر: إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل.

٣ - انظر: كمال البكاري: عرض ومراجعة - الاستشراق والمشروع الصهيوني، ص.ص. ٣٥٥ - ٣٥٦.

ضدَّ العـرب وقضاياه إلا نتيجة لهذه الأبحاث التي قام بها هذا المسـتشرق الصهيوني. فكتاباته، كما يُؤكِّد بعضُ الباحثين، تتَّسـم بالعنصرية، وأحكامه تلفيقية، فضلاً عن كونه لا يجد حرجًا في الدِّفاع عن الصهيونية علنًا، وتقديم المـبررات لها، "وهنا تكمن خطورتُه؛ حيث له مـن التأثير ما لا يَخفى على طلابه، وعلى الآراء الاستشراقية المعاصرة بشكل عامّ"[1].

٣ - الاستشراق الإسرائيلي

يُمكن القول إنَّ الاستشراق الإسرائيلي حركةٌ علمية إسرائيلية، على أساس من اللُّغة العبرية، يَقوم بها مستشرقون يَحملون الجنسية الإسرائيلية، خدمةً لأهداف عقدية وسياسـية ومعرفية، تُكـرِّس للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ماديًّا ومعنويًّا، تَحقيقًا لدعوى شعب الله المختار.

ومـن ثَمَّ فإنَّنا نسـتطيع أن نقف عند بعض أعلام هذا الاسـتشراق، الذين ينطبق عليهم التعريف السابق، من أمثال: (شالوم زاوي)، و(أوري وربين)، و(مائير بر أشير - Meir M. Bar-Asher)، وغيرهم من المستشرقين.

وبالنَّظر إلى طبيعة هذا الاسـتشراق، وما يَقودنا إليه تَعريفُه، نتأكَّد يَقينًا أنَّه اسـتشراقٌ عقدي، تَبدو واجهتُه سياسيةً من الدَّرجة الأولى؛ وذلك لأنَّه وُلد ونشـأ في وسط كيان غاصب محتلٍّ للأراضي العربية في فلسطين. ومن ثَمَّ كان مـن الطبيعي أن تكـون كلُّ جهوده في خدمة هـذا الكيان المتعصِّب.

---

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص٩٢.

"فإسرائيل تقع في تشكيل إقليمي عربي، وتَعيش حالةً من الصِّراع مع الدول العربية المجاورة، وهذا الواقع دفعها إلى الوقوف على مكامن القوة والضَّعف في الجانب العربي، لوضع استرتيجيّتها في كيفية إدارة الصِّراع، علاوةً على إلحاح الاعتبارات الميدانية، كالمُواجهات والحرب النَّفسية والمعارك العسكرية والحيثيّات المُتعلِّقة بالواقع السُّكاني في فلسطين"[1]. ومن ثَمَّ نَفهم طبيعةَ الاستشراق الذي يُدافع عن هذا الكيان، وطبيعة الأهداف أو الغايات التي يَسعى إليها.

ومن ثَمَّ فمن الخطأ النَّظر إلى الاستشراق الإسرائيلي على أنه يُمثِّل جهودًا فرديّةً، لأنَّه لا يَنطلق من ذلك، ولكنَّه يَنطلق من جهود مُؤسَّسيّة عبارة عن مراكز بَحثيّة ومعاهد استشراقيّة، نشأت في الأساس لتقديم خدمات سياسية واقتصادية ومعرفية وعقدية للكيان المحتل. وإنْ كان هذا لا يمَنع من وجود بعض الجهود الفردية هنا أو هناك، لكنَّها على كلِّ حال لا تَخرج عن أهداف الإطار العامِّ للاستشراق الإسرائيلي.

لا شكَّ في أن المُستشرقين اليهود المعاصرين اعتمدوا كغيرهم من المستشرقين الغربيين على مجموعة من المناهج، التي تناولوا بها الدِّراسات والعلوم الإسلامية عامّةً، وتناولوا بها النَّصَّ القرآني خاصّةً، وهذه المناهج مُتعدِّدة، ولا تَقِفُ عند منهج واحد بعَينه، وتَختلف المناهج باختلاف

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص٩٤.

الفصل الأوّل:
نقد مناهج الاستشراق اليهودي المعاصر

الأشــخاص، بــل باختلاف طبيعة القضيــة ذاتها، ويَجب الانتبــاه إلى أنَّه مع ضرورة التَّســليم بأهمية اتِّباع منهج ما في أي دراســة من الدراسات، فإنَّه من الخطورة بمكان أن نظنَّ بأنَّ منهجًا بعينه يَصلح لدراسة الظَّواهر المُختلفة، إنَّ هذا المنهج فقط قد يُفيدنا في دراســة ظاهرة مُحدَّدة أو موضوعٍ بعَينِه في بيئة مُعيَّنــة، لكنَّ المنهجَ ذاتَه قد يأتي بنتائج خاطئة إذا ما طُبِّق على موضوع آخر مشابه في بيئة أخرى[1]. ويَجب الانتباه إلى أن الدَّوافع المُسبَقة، القائمة على التعصُّــب أو محاولة الانتصار لكلِّ ما هــو يَهودي أو غربي، لن تُجدِيَ معَها هــذه المناهج نفعًا، حيث إنَّ التعصُّــب أو الاعتماد على الأهواء يَقضي على الصبغة العلمية لأي دراسة كانَت، وهذا ما وجدناه في الاستشراق المعاصر، ومن قبله الاســتشراق القديم سواء بســواء. وهذا ما يُفسِّر الكثير من القضايا اللاعلميّة في كتابات المســتشرقين، إذ نجد غالبيّةَ المستشرقين يأتون بكلام غريبٍ لا يمَتُّ للعِلميّة بصِلة، والســبب في ذلك خضوعهم للتعصُّب، وهذا ما نجده بوضوح على سبيل المثال لا الحصر في مجال القَصص القرآني.

ويمُكننا عَرضُ مناهج الاســتشراق اليهودي المعاصر في دراســة النص القرآني والعلوم والقضايا الإسلامية، على النحو:

---

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص ٣٨.

أولًا: نقد المَنهج الشكي

المنهج الشكيِّ أو التَّشكيكي هو المَنهج الأمُّ الذي تَعود إليه كلُّ المناهج التي درسَت النَّصَّ القرآنيَّ خاصةً والعلومَ الإسلامية عامّةً، فما من مَنهج منها إلا كان له فيه بصمةٌ، وكان له فيه أثرٌ، فالمنهج الشكيِّ في ظنِّنا هو مَصبُّ هذه المَناهج كلِّها، فالمَنهج التاريخيُّ تناوَل النصَّ القرآني، ولا سيَّما القَصص القرآني، في قالب شكيِّ، وكذلك منهج التأثير والتأثُّر، والمقابلة والمطابقة، والمَنهج الإسقاطي، والمَنهج التَّحليلي، فحيثُما اعتمدَ المُستشرق منهجًا من المناهج كان معَه المنهج الشكيِّ أداةً رئيسة.

ويُعدُّ من أئمة هذا المنهج في الاستشراق اليهودي المعاصر كلٌّ من (أوري روبين) و(شالوم زاوي)، فهذان المُستشرقان اتَّبعا منهجًا تشكيكيًّا في الحديث عن مصدر النَّص القرآني، وخاصة في مجال القَصص القرآني، وراحا يَبثّان سمَّهُما في الإنتاج والمُؤلَّفات التي خرجَت من تحت عباءتهما.

وقد انطلق المستشرقون اليهود المعاصرون في دراستهم للنَّص القرآني من منهج ديكارتي واضح، قائم على الشكِّ تَطبيقًا لمقولة ديكارت: أنا أشكُّ إذن أنا موجود. فشكَّكوا في القرآن وعلومه وقضاياه ومضمونه وفقَ منهج الشكِّ الدِّيكارتي، وكانت أغلبُ دراساتهم تَنطلق من هذا المُنطلق، وهو المنهج الذي أخذ به المستشرقون المعاصرون. لكنْ من المهمِّ أن نُؤكِّد على أنَّ الشكَّ في حدِّ ذاته لبناء نسق مَعرفي أمرٌ لا غُبار عليه، أما الشكُّ من أجل التَّشكيك وتمرير بعض الأفكار والأيديولوجيات فهنا

تكمن الإشكالية والعوار.

فهُناك من شـكَّك بناء على هذا المنهج في النص القرآني من الأسـاس، وهناك من شـكَّك في مصدريته الإلهيّة، مُدَّعين أنَّه من صنع نبيِّنا الكريم، وهناكَ مَن زعم اعتماداً على شكِّه أنَّه تقليد ومحاكاة للنَّص التوراتي. وتُعدُّ مواقفُهـم من القصص القرآنيِّ نموذجًا من إفرازات هذا المنهج، الذي كان هدفُ أصحابه من دراسة النص القرآني مجرَّدَ الشَّك، ولا شيء غيره، وهذا الرَّأي سـار عليه بعضُ المسـتشرقين الأوائل. بيدَ أنَّه يجب التأكيد على أن المسـتشرقين كانوا يمُارسون نوعًا من التمسُّك بعقيدتهم التي يُؤمنون بها، وهم بصَدد نقد النَّص القرآني، أو بصدد أيِّ قضية أخرى.

ولا شكَّ في أنَّ القصص القرآني كان هدفًا أساسيًّا من أهداف المُستشرقين؛ حيثُ أعمَلوا فيه المنهجَ الشـكيَّ حتى يَصلوا إلى أغراضهم وغاياتهم التي حدَّدوها سلفًا، وهذا يُفسِّر لنا لماذا كان المستشرقون يَرتكزون في دراساتهم على هذا المنهج، فهو يَكفل لهم حسـب رؤيتهم التَّشـكيكَ في كلِّ شيء، حيث إنَّ الشكَّ في قضية قرآنية يَقود عندهم إلى الشكِّ في أخرى، بل يَقود إلى الشـكِّ في الأصل، ومن ثم استندوا إلى التَّشكيك في القصص القرآني ونقـده؛ لأنَّـه يقود إلى التَّشـكيك في القـرآن ذاته، ولا سـيَّما في مصدرية القَصص القرآني خاصّةً، والدين الإسلامي عامّةً.

ويدَّعـي كثيرٌ مـن المسـتشرقين أن القَصص القرآني هـو تقليدٌ للقصص الموجود في الأديان السماوية السابقة على الإسلام، مُحاولين التَّشكيك في

أصالة القرآن من جانب، ومُتغافلين عن أنَّ الكتبَ السماوية مصدرُها واحد.

ويُعدُّ الاستشراق الإسرائيلي المعاصر من أكثر أنواع الاستشراق المعاصر استِلهامًا لهذه الفكرة وإيمانًا بها، وربمَّا يَرجع السَّبب في ذلك إلى البحث عـما يُعضِّدُ مَوقفَ هذا الكيان بشـتَّى الطُّرق، حتى لـو كانت إحدى هذه الطـرق البحثَ في القـرآن وإقحام النصوص، للعثـور على علاقة من نوع مـا بين الإسـلام واليهودية، بَحثًـا عن مخرج تاريخي لأزمـة الوجود التي يُعانونها على أرض مغتصبة.

ويُعدُّ المستشرق (أوري روبين)[1] أوضحَ مثال على هذا الأمر، حيث قام بترجمـة معاني القرآن الكريم إلى العِبرية، وترجمتُه ليسـت مجرَّدَ ترجمة، بل كانت نقدًا لموضوعـات قرآنية في كثير من جوانبها، ومنها محاولته ردَّ القَصص القرآني إلى مصادر يهودية ومسـيحية ووثنية. وتُعدُّ هذه الترجمة ذات أهمية كونها تحتوي عـلى كثير من التَّعليقات والهوامش، إضافةً إلى مُلحقَينِ؛ تحتـوي جميعها على نقد وتعليقات على معظم الآيات القرآنية، فقد شـملَت جميعَ سور القرآن عدا سـورتين فقط هما: الضحى والعصر، وبلـغ عدد صفحاتهـا ٥٤٣ صفحة، ومن ثمَّ فهو يمُثِّـل مُجلَّدًا عن القرآن

١ - مسـتشرق معاصر، ولد في ١٩٤٤م، يبلغ من العمر ٧٦ عامًا، أسـتاذ في قسـم الدراسـات العربية والإسلامية بجامعة تل أبيب، له بعض الدراسات القرآنية التي يمَيل فيها إلى نظرة تعصُّبية للمَذهبَينِ العقدي والسياسي.

الكريـم يَحتوي على ترجمة لمعانيه إلى العِبرية، ونقد لآياته من وجهة نظر استشراقية إسرائيلية من خلال التَّعليقات الهامشية على الآيات القرآنية[١].

لم تكـن ترجمة (أوري روبـين) إذن مجرَّدَ ترجمة عاديـة؛ لأنَّ الترجمة الحقيقيـة تَقف عند حـدود نقل النصِّ من لغة إلى أخـرى، دون أن تكون مُحمَّلةً بأفكار ومعتقدات وأيديولوجيات المُترجِم، أمّا وقد حمَّل (روبين) ترجمتَه أفـكارَه ومعتقداته وأيديولوجيته فإنَّه انتقل مـن كونه مُترجمًا أمينًا إلى كونه مُترجِمًا مُتحيِّزًا، وهنا تكمن الإشـكالية؛ لأن القارئ سوف يَشغله ويُثـير انتباهَه تلـك التَّعليقـات والهوامش، ومن ثَمَّ تتحكَّـم في رأيه وفي المَوقـف الذي يتَّخذه من القرآن. ومن ثَمَّ انتقلَت التَّرجمة بذلك من كونها وسـيلةً للتواصل مع الآخر وبناء جسـور ثقافية معه، إلى علاقةٍ من العَداء التي اصطنعَتْها هذه الأقلام المُؤدلَجة.

وقد كانَت هذه التَّرجمة غريبةً وغير معهودة[٢]، حيث جمعَت بين كونها

---

١ - أحمـد صلاح أحمد البهنسي: التعليقات والهوامش لترجمة أوري روبين العبرية لمعاني القرآن الكريم، ص ٥.

٢ - يمكن تسـمية ترجمة روبين بأنها ترجمـة موجهة، بمعنى أن هدفها تمرير بعض القضايـا المتعلقة بمحاولة الزعم باقتبـاس القرآن من التوراة في قصصه القرآني وغيره، في حين هناك ترجمات يمكن أن نسميها ترجمات مبسطة هدفها الوقوف عند الترجمة دون تدخل برأي هنا أو هناك، ومن هذه الترجمات:

The Quran Translated To English, Published By Clear Quran, Dallas, Beirut, 2000.

تعليقات تفسيرية تُقدِّم لنا مَرئيّاتِ المُترجِم، وكونها تعليقات شارحة مُكمِّلة للتَّرجمة عمدَ من خلالها إلى شرح عدد من الألفاظ والآيات القرآنية والتَّعليق عليها، حيث قدَّم روبين من خلال هذه التعليقات والهوامش عدداً من الفرضيات حول الآيات القرآنية، التي كان محورها الرئيس ردّ الآيات القرآنية إلى مصادر خارجية غير أصيلة، هي المصادر اليهودية والنصرانية والوثنية، وهي الفرضية الأساسية المُتعلِّقة بمصدرية القرآن الكريم، وقد ضمَّ إليها فرضيّاتٍ أُخرى تتعلَّق بإسقاط روبين لمفاهيم سياسية وفكرية مُعيَّنة على الآيات القرآنية، تَخدم أيديولوجيته الاستشراقية الإسرائيلية[1].

ومن ثَمَّ نَفهم من ذلك أن أصحاب المنهج الشكيِّ يدَّعون العلمية والموضوعية في دراستهم للقَصص القرآني، على الرَّغم من أن آراءهم التي قصدوا بها النيل من الإسلام تَفتقر لأيِّ أدلة علمية، مع التَّشكيك الواضح في أصالتها، والتَّجاهُل التامِّ لمِصداقيتها، مع إنكار واضح لاختلافات جوهرية بين النصِّ القرآني وغيره من النصوص التي وردَت في المصادر السابقة.

١ - أحمد صلاح أحمد البهنسي: التعليقات والهوامش لترجمة أوري روبين العبرية لمعاني القرآن الكريم - دراسة نقدية، ص٥.

ثانيًا: نقد منهج التأثير والتأثُّر

هذا المَنهج يقوم بالأساس على نَفي الأصالة عن النصِّ القرآني، خاصةً فيما يتعلَّق بالقَصص الواردِ فيه، والزَّعم بأنَّه نتيجة التأثُّر بالكتب السابقة: يهودية ومسيحية، وقد استخدم المستشرقون هذا المنهج في كلِّ ما يتعلَّق بالنَّص القرآني، ليس هذا فحسب، بل أكثروا من الدراسات عن الوحي الإلهي والحديث النبوي والعلوم الإسلامية، مُحاولين تناوُلَها على أنَّها إمّا مُقتبَسة من اليهودية، وإمّا أنَّها مُجرَّد تَقليد ومحاكاة للغرب، وهذا دأب الاستشراق اليهودي المعاصر.

وهذا المنهج يُعدُّ من المناهج الشائعة في دراسة النصِّ القرآني من قبل المستشرقين، سواء في الاستشراق اليهودي المعاصر أو في الاستشراق الغربي، لكنَّهم لم يَستخدموه الاستخدام العلمي؛ إذ لو استخدموه استخدامًا علميًّا لانتهَوا إلى نتائج مُغايرة لتلك النتائج المَزعومة التي انتهَوا إليها؛ وما ذلك إلا لأنهم انتهجوا مَنهجَ التعصُّب، بدليل أنَّهم كانوا يَستندون إلى مجرَّد ذِكر القصة في القرآن للزَّعم بأنَّها تمُثِّل تأثُّرًا بما ورد في التوراة مثلاً، دون دراسة حقيقية لمضامين القصة هنا وهناك، وحتَّى مع التزام بعضهم بضوابط منهج التأثير والتأثُّر، إلا أنَّ الأمر أيضًا لم يَخلُ من التعصُّب.

نحن لا نُنكر أن الاستشراق المعاصر يَقتفي أثرَ الاستشراق القديم في البحث التاريخي، بهدف إظهار النصِّ القرآني في صورة مُشوَّهة، وفي سياقات مُغايِرة، بحيثُ يَظهر بصورة المُقتبِس من الأديان الأُخرى، أو

بصورة المُشوِّه لما جاء في التَّوراة والإنجيل.

وقد عوَّلَ الاستشراق الكلاسيكي والمعاصر على منهج التأثير والتأثُّر في قراءاتهم الاستشراقية للقرآن، وخاصة في القضية التي نَتناولها في هذه الدراسة، قضية القَصص القرآني، كما اعتمدوا على مَنهج مُشابِه بعض الشيء، وهو منهج المقابلة والمطابقة، إضافةً إلى مناهج أخرى سنعرضها في السطور القادمة، وأرى أنَّ منهج المُقابلة والمطابقة يَصف بصدق موقفَ الاستشراق من القَصص القرآني، لسبب واضح، وهو أن مَنهج المستشرقين يَقوم على محاولة إثبات شيءٍ واحد، وهو تأثُّر القرآن بالتوراة والإنجيل واقتباسه منهما، وهذا يَعني أن القرآن في مرحلة تأثَّر بهما على هذا الزَّعم، دون أن يكون له تأثير فيهما من أي جانب استكمالاً لفهم هؤلاء المستشرقين، أما منهج المقابلة والمطابقة فيَقوم على أمرين: مقابلة نصوص القَصص القرآني بنصوص التَّوراة والإنجيل، ومطابقته بهما؛ مُحاولين أن يَنتهوا من هذه المُقابلة وتلك المُطابقة إلى الزَّعم باقتباس القرآن الكريم من التَّوراة أو الإنجيل أو الاثنين معًا، وهذا المَنهج هو ما يكشف عن العقلية التعصُّبية التي تَحكم عمل المستشرقين في حقل الدراسات الإسلامية، وخاصة في الدراسات القرآنية، وتحديدًا في القَصص القرآني.

ومن ثَمَّ فإنَّه بناء على منهج التأثير والتأثُّر، وكذلك منهج المقابلة والمطابقة، فقد انطلق المستشرقون اليهود المعاصرون، متَّبعين في ذلك

سابقيهم من زعماء الاستشراق القديم الغربي واليهودي، إلى الادِّعاء بأنَّ القصص القرآني مأخوذٌ من الديانة اليهودية؛ وذلك نظرًا للتَّشابه بين هذا القَصص العظيم وما وردَ من قَصص في الديانة اليهودية، وهذا منهج النَّصارى أيضًا، متأثرين في ذلك بتلك المناهج التي اصطنعوها لمحاولة نقد الإسلام ونقضه، وإظهاره في صورة بشرية، بدعوى أن القرآن "من إنتاج محمد"، وليس صادرًا عن الوحي الإلهي.

ومن ثَمَّ يَذهب أحدُ الباحثين إلى أن هذا المنهج -أي منهج التأثير والتأثُّر الذي تُبنى عليه معظم الفرضيات الاستشراقية- يَستند على فرضية أساسية، مُؤدّاها أنَّ النصَّ القرآني هو اقتباس مُحمَّديٌّ من كتب اليَهود والنَّصارى المُقدَّسة، وهي فرضيّةٌ مَصدرُها -كما يقول الباحث- أيديولوجيا استشراقية نابعة من أفكار إمبريالية استعمارية[1].

فالاستشراق بوصفِه جناحًا علميًّا لذلك الاستعمار عمدَ إلى تطوير فرضية أنَّ الإسلام المنتشر في الشرق ومصادره الدينية الرئيسة ليس مصدرها الوحي، أو حتى نتاج ظروف فكرية وحضارية أصيلة في المنطقة العربية، بل هو اقتباس وانتحال أو حتى هرطقة يهودية ونصرانية كان سببها محاولة نبيِّ الإسلام التشبُّه بأهل الكتاب أو تقاليدهم، أو على الأقل استمالتهم له في بداية دعوته، وقد وجد الاستشراقُ في ذلك التشابُه بين القَصص

١ - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (٢/١). (حوار منشور).

القـرآني وبعض قصـص العَهدين القديـم والجديد أفضلَ دليـل وذَريعة للتَّدليـل على هذه الفرضية القائلة بـأنَّ القرآن ما هو إلا تَلفيق من العهدين القديم والجديد[١].

وهذا ما تكشف عنه الدِّراساتُ الاستشراقية الإسرائيلية المعاصرة، كامتداد طبيعيٍّ للدراسـات اليَهودية عامّةً، وما سـبقَها من الدِّراسـات الاستشراقية الغربيـة التـي نحَت هـذا المَنحى. لكنَّ الأمـر يَعود من جديد في سـياق الاسـتشراق الإسرائيلي تَحقيقًا لأهداف أكثر من كونها دينية، وهي أسـباب سياسية مَعنيّةٌ بمحاولة تحقيق الوجود والشرعية على الأراضي المغتصبة.

إنَّهـم يَعمـدون إلى القول بأنَّ البيئة المحيطة بالنَّبـي الكريم كانت ذات تأثـير عليه وعلى مـا وردَ في القرآن الكريم، بحُجّـة أن بعضًا من القصص القرآني أخـذه النبيُّ الكريم من الوفود التي كانـت تأتي للحج إلى الكعبة قبـل الإسـلام، كما يَعمـدون إلى الحكم على كلِّ قصـة وردت في القرآن بأنَّهـا مأخوذة مـن بعض البيئات العربيـة، التي كانَت على درايـة بالتَّوراة والإنجيل وما ورد فيهما من قَصص. وهذا المنهج ظهر في أغلب المدارس الاسـتشراقية القديمة التي اهتمَّت بدراسـة القرآن، ويظهر في الاسـتشراق المعاصر جليًّا، فالاستشراق الإسرائيلي بما يضمُّه من مستشرقين معاصرين -على سـبيل المثال- اهتمَّ بهذا المنهـج، وإن كان قد مزجَ بينَه وبين منهج

١ - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (٢/١). (حوار منشور).

المقابلة والمطابقة، كما نجده عند أوري روبين وغيره.

هـذا المنهـج نجده في الاسـتشراق الكلاسـيكي القديم، فالمسـتشرق (هاملتون جب - Hamilton Gibb)[١] في كتابه المذهب المُحمَّديّ أشار إلى شيء مـن هذا، عندما ردَّ الإسـلام في عمومـه إلى الظُّروف المحيطة والعقائدية التي كانت سـائدة في تلك المدّة، ذاهبًـا إلى أن كلَّ هذا الذي شكَّل شخصيةَ محمد، وكان له تأثيره القويُّ في النصوص القرآنية[٢]، وعلى رأسـها القَصص القرآني بالطبع. كذلك نجد هذا المنهج عند المسـتشرق (جولدتسـهير)، فقد اعتمد على منهج التأثير والتأثُّر في دراسـاته التي قام بها، حيث يقول: "فتبشـيرُ النبيِّ العربي ليس إلا مزيجًا مُنتخَبًا من معارف وآراء دينيّة عرفَها بفضل اتِّصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثَّر بها تأثُّـرًا عميقًا، والتي رآهـا بأنَّها جديرة بأنْ تُوقِظَ في بنـي وطنِه عاطفةً دينية صادقـة، وهـذه التَّعاليم التي أخذها عن تلك العنـاصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورةً لإقرار لون من الحياة في اتِّجاه يريده الله"[٣].

وهـو لا يَقصـد بالتَّعاليم هنا الأوامـرَ فقط -وإنْ كان هـذا غيرَ صحيح البتّـةَ- بل يَقصـد بالتَّعاليم الإسـلامَ ككلٍّ بما يَشـمله مـن قَصص قرآني

---

١ - مسـتشرق بريطاني (١٨٩٥ - ١٩٧١م)، له إسـهامات عديدة في مجال العقيدة والحضارة والتاريخ الإسلامي.

٢ - انظر: محمد كامل عياد: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٤، مج٤٤، ص٧٩٤.

٣ - جولدزيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١٢.

وغيره، إذ يُرجِعُ هذا المستشرقُ كلَّ شيء إلى تأثُّر النبيِّ الكريم باليهودية والمسيحية، فكلُّ ما يَنطوي عليه الإسلام إذنْ هو في نظر هذا المستشرق نتيجةٌ التأثُّر بالعقائد السَّماوية السابقة على الإسلام، والإسلام في نظره ليس له من فضلٍ إلا محاكاة وتقليد ما جاء فيها من تعاليم.

إنَّ تطبيق منهج التأثير والتأثُّر من قِبَلِ المُستشرقين اليهود المعاصرين، والمُستشرقين عامّةً على النَّص القرآني -وخاصةً موضوع القَصص القرآني- عليه بعضُ الملاحظات النَّقدية، وهذا بدوره أدَّى إلى فساد النَّتائج التي تمخَّض عنها؛ لأنَّ المنهج السليم من ناحية التطبيق يأتي بنتائج حقيقية، على حين يأتي الخطأ في تطبيقه بنتائج عكسيّة لا تمتُّ إلى الحقيقة بصِلة.

وأوَّل هذه الملاحظات أنَّه اعتمد في إثبات علاقة التأثير والتأثُّر على مجرَّد التَّشابه الظّاهري بين النصوص المُتعلِّقة بالقَصص القرآني دون محاولة فهم المضمون الذي يحتوي عليه، لأنَّ اهتمامَه بالمضمون كان سيكشف الكثيرَ من مواطن الاختلاف بين القَصص القرآني مثلاً وغيره من القَصص التَّوراتي والإنجيلي. والمستشرقون استخدموا هذا المنهج استخدامًا هامشيًّا، عُني بالقشور دون الجَوهر، وبالشَّكل دونَ المَضمون، ولذا كانت نتائجه كارثية من الناحية العلمية والمنهجية.

وثاني هذه الملاحظات هي المُتعلِّقة بجوانب التأثير والتأثُّر، إذ يُثبَت التأثير والتأثُّر بجانبين: جانب النَّقد الخارجي للنصَّ، وجانب النَّقد الدَّاخلي، والأوَّل يَهتمُّ بالجوِّ المُحيط بالنصِّ من بيئة وغيرها، والثاني مُتعلِّقٌ

بمضمــون النصِّ وجَوّانيّته. وفي الجانــب الأوَّل كان من المفترض أن يُبيِّنَ المســتشرقون المراحلَ أو الحلقات التي مرَّ بهــا القَصصُ حتى وصل إلى ســيدنا محمد كما يَزعمون، والنَّظر إليها على أنَّ كلَّ مرحلة أو حلقة تُكمل المرحلة التي قبلَها، وكأنَّها جميعًا سلســلة متَّصلة، لكنَّهم لم يفعلوا، وآثروا النَّظر إلى بعض الحلقات المُتناثرة مُنفصلةَ العُرى، وبنَوا عليها منهجَهم في التأثير والتأثُّر.

وفي الجانب الثاني المُتعلِّق بالنَّقد الدّاخلي للنصِّ، لإثبات علاقة التأثير والتأثُّــر، لم نجد علاقةَ تأثُّر حقيقيّة للقَصص القــرآني بنظيره في التَّوراة أو الإنجيل، إلا مــا يُعدُّ منها مُتوافقًا باعتبار وحدويّــة المَصدر، بل بالأحرى هنــاك اختلافــات كبــيرة بين مضامــين نصــوص القَصص القــرآني وبين مضامين نصوص القَصص التَّوراتي، والمُتأمِّل في قِصص الأنبياء كســيدنا آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء يَجد كمَّ الاختلافات كبيرة جدًّا بصورة يَستطيع أن يَحكم معها القارئ بسهولةٍ أنَّه ليس هناك ما يُسمَّى بالتأثير والتأثُّر الذي زَعمه المستشرقون في القَصص القرآني.

وهذا ما يَظهر عند (أوري روبين) الذي يحاول أنْ يُرجِعَ بعضَ النُّصوص القرآنية، وعلى رأسها النُّصوص المتعلِّقة بالقَصص القرآني إلى مصادر يهودية ومسيحية، كما فعل مثلاً مع الآيات التي تتحدَّث عن بَدْء الخلق، حيث "علَّق روبين على الآية ٣٥ من سورة البقرة ﴿**وقُلنا يا آدَمُ اسكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجَنّةَ وكُلا منها رَغَدًا حيثُ شِئتُما ولا تَقرَبا هذهِ الشَّجرةَ فتَكونا مِنَ**

الظَّالِمِينَ﴾ بردِّها إلى قِصة الخلق الواردة في سفر التكوين ١٧/١ ....."[1].

لكنَّ (روبين) -ومَن سار على دَربه- يتغافل عن شيء مهمٍّ، وهو أنَّ المصدر الإلهي لهذا القَصص واحد، ومن ثَمَّ كان من الطَّبيعي أن يَتشابَهَ في بعض أجزائه بين القرآن والتَّوراة، فهذا دليلٌ على وحدة المَصدر الذي صدرَ منه هذا القَصص، وهو الله تعالى، بل إنَّ هناك شيئًا آخر لم يَتنبَّه إليه روبين -أو لعلَّه تعمَّد تغافُلَه- وهو أنَّ القَصص القرآني مختلفٌ في كثير من جُزئيّاته مع القَصص التَّوراتي أو غيره، بدليل قِصّة بَدء الخلق ذاتها التي يردُّها روبين إلى سفر التكوين، فهناك اختلافاتٌ كثيرة بين الرِّوايتَين: اليهودية والإسلامية، منها الاختلاف في خَلْق حواء هل بعدَ دخولها الجنة أم قبل دخولها الجنة؟ الرَّأي الأول يقول به سفر التكوين/ ٢، على حين أنَّ القرآن يُؤكِّد على خَلقها قبلَ دخول آدَمَ الجنّة لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...**﴾ [البقرة: ٣٥]، وفيما يتعلَّق بقضية سبب الأكل من الشجرة، والخروج من الجنة، فإنَّ هناك اختلافًا أيضًا، فإنَّ سفر التكوين/ ٣ يُشير إلى أنَّ الحيّةَ هي التي أغوَت حوّاءَ للأكل من الشجرة، وحواءُ هي التي أغوَت آدم، فخرجا من الجنة، في حين يُرجِعُ القُرآنُ ذلك إلى غواية الشيطان، لقول الله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ¤ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ**

---

١ - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (٢/١). (حوار منشور)، ص٥.

لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١]، وهذا يَعني أنَّ القرآن لا يُلقي باللَّوم على حوّاء كما جاء في التَّوراة، وإنَّما يُلقي باللَّوم على آدَمَ عليه السلام.

قصّةُ الخَلق التي تعلَّلَ بها روبين لإثبات اقتباس القرآن من التوراة في سفر التكوين خاصةً هي التي تَقضي على محاولته أو فرضيّته هذه من الأساس، ذلك أنَّ كمية الاختلاف في التفاصيل بين الرِّوايتَين تَنسف رأيَ روبين من أساسه، نعم إنَّ القرآن والتَّوراة يَشتركان في أنَّ الخَلقَ استغرقَ ستّةَ أيّام، لكن الاختلاف يَكمن في أنَّ التَّوراة تزعم أن الله تعالى -وحاشاه- استراحَ في اليوم السابع كما جاء في سفر التكوين من الإصحاحَين الثاني والثالث، على حين يَنفي القرآن أن يكون الله تعالى قد استراح أو مسَّه تعبٌ أو نَصَبٌ، بدليل قوله تعالى: ﴿**... لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ...**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ [ق: ٣٨].

ومن خلال هذا الاختلاف الجوهريِّ يَتبيَّن لنا أنَّ هناك روايةً لا تُنزِّهُ الإلهَ، وهي الرواية التوراتية، ورواية تُنزِّه اللهَ تعالى عن التشبُّه بالبشر، فتَنفي عنه فعلَ الرّاحة أو الاستراحة، وهي الرِّواية القرآنية، ألا يُثبِتُ هذا التَّنزيهُ أنَّ القَصصَ القرآنيَّ لا يَقتبس من القَصص التوراتي؟! وهل جاء سيدنا محمّدٌ بهذا التَّنزيه من عنده؟ أم هو من لَدُنْ حكيم خبير؟ ومن جانب آخر فإنَّ هذا التَّنزيه الذي تَقوم عليه الرِّواية القرآنية يَنبغي أن يُتَّخَذَ دليلاً على استقلاليّتها

عن الاقتباس مـن الرِّواية التوراتية، وهنا نتسـاءل ألمْ يكن الأجدى بروبين وغيره أن يَتنبَّه إلى هذا الاختلاف الجوهري؟ ولو كان ممَّن يَحفظون للعلم هيبتَـه وللأديـان قيمتَها لاتَّجـه بكلِّيّتـه إلى التَّنزيه الذي جاءت بـه الرِّواية القرآنية، إلا أنَّه لم يفعل، وارتضى لأيديولوجيته أن تقودَه وتُسيِّره.

ومن ثـمَّ يُعدُّ (أوري روبين) من أبرز المسـتشرقين اليهـود المعاصرين الذيـن ركَّزوا على قضية التأثير اليَهودي والمسـيحي في القَصص القرآني، محاولاً التأثير في القارئ وتوجيهه إلى فرضية خاطئة تَزعم أن النصَّ القرآني إنتاجٌ بشري، أخذَه النبيُّ محمد من الكتب السـماوية السـابقة، ففي كتابه "بـين الكتاب المُقدَّس والقرآن" يُركِّز على هذه القَضيّة تَحديدًا، مُتنقِّلاً بين السُّـوَر القرآنية، محاولاً البحثَ عمّا يَشـفع لأفكاره. فهو يتطرَّق إلى أجزاء من قصة سـيدنا موسى، محاولاً التأكيد على هـذا التأثير، فهو يقول مثلاً: "إنَّ الآيات من ٢٢: ٢٦ من سورة المائدة تستند إلى قضية الجواسيس التي عرضها الكتابُ المقدَّس، ففي النسـخة الكتابية -عند عودة الجواسـيس الذيـن أرسـلهم موسى إلى أرض كنعان، مع تقرير عـن الجبابرة في أرض كنعان[1]- يَفقـد بنو إسرائيل قلبَهم ويأبَون دخـولَ هذه الأرض، ويُعبرِّون

١ - ومن الباحثين الغربيين من يرى أن أرض كنعان سـماها القرآن الأرض المقدَّسة، وهذا التعبير -في رأيه- اقتباس من اليهود أو المسـيحيين، تأكيدًا للمَنزع الاسـتشراقي الذي يمَيل كلية إلى تقليد القرآن ومحاكاته للتوراة، انظر:

E. M Wherry, M.A: The Quran Comprising Sal's Translation and Preliminary Discourse, pp 239.

عن رغبتهــم في العَودة إلى مصر، فكان عقابُهم الهــلاكَ في البرِّيّة، والتِّيه لمدة أربعين سنة"[١].

ولا يَظهر هذا المنهج عند (أوري روبين) فقط كممثل للاستشراق اليهودي المعاصر في صورته الإسرائيلية، ولكــن يوجد هذا المنهج -كما يُؤكِّد بعضُ الدّارسين- عند المستشرق الإسرائيلي (شالوم زاوي) في كتابه "مصادر يهودية في القرآن" حيثُ استخدم (زاوي) هذا المَنهج في هذا الكتاب في جانبين[٢]:

١. تأثير وتأثُّر معنوي يتعلَّق بالظَّواهر والأفكار والمُعتقدات:

ومــن أبرز أمثلتــه ما ذكرَه في مقدمــة كتابه أنَّ محمــدًا اقتبس من العَهد القديم والتُّراث الإسرائيلي نصيبَ الأسد من أفكاره، ووجدَ مصدرَ اقتباســه من الشرائع والقوانين التَّوراتية التي تأثَّر بها جدًّا، مضيفًــا أنــه من المحتمل أن يكون ناســخو كتــاب القرآن هم من اليهود والمســيحيين الذين اعتنقوا الإسلامَ، وكان فكرُهم مستمِدًّا من التّلمود والعهدَينِ القديم والجديد وفكر آباء الكنيسة. وضرب

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image, P. 61.

٢ - أحمــد البهنسي، كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمســتشرق شــالوم زاوي، عرض وتقويم على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5198/ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-llmstshrq-shalwm-zawy-ard-wtqwym

(زاوي) مثـالًا لهذا التأثُّر القـرآني بالعَهد القديم بعناوين السُّـور القرآنيـة التي أشـار إلى أنَّها مأخـوذة من أوَّل كلمة بالسُّـورة تأثُّرًا بمنهج العهد القديم في ذلك.

٢. تأثير وتأثُّر لفظي: فقد ردَّ زاوي عددًا من الألفاظ القرآنية إلى ألفاظ عبرية، ولا سـيَّما الـوارد منها في العهـد القديم، ومن أمثلة ذلك رَدُّه لفظة: {سَكينة} القرآنية إلى لفظة (שכינה) العبرية.

لكـن يُؤخَـذ عـلى (زاوي) أنَّـه لا يأخـذ في الاعتبـار -كغـيره مـن المسـتشرقين- أربعةَ عوامل مُهمّة، وهـي: - العامل الفَضائي (المكاني) - العامل اللُّغوي والثقافي- العامل الزَّمني- عامل الأعاجم الذين اعتنقوا الإسـلام. إذْ إنَّ مـن الطبيعي أن تَحـدُثَ عمليّة التأثـير والتأثُّر، غير أنَّ العوامل الثلاثة الأولى تعمل لصالح التأثير من جانب الإسلام في غيره، والعامل الأخير وحدَه يَطرح إمكانية تأثُّر الإسلام بغيره[١].

و(شـالوم زاوي) هنـا يُغفِلُ أو يَتغافـل كـ (أوري روبـين) عن وحدويّة المَصـدر الذي صدرَت عنه التَّوراة والقرآن، إذ لو كان مُدركًا لهذه الحقيقة لَعلم أنَّ ما بينهما من تشابُهات في بعض الرِّوايات إنَّما مردُّه لهذه الوحدوية.

---

١ - أحمـد البهنسي، كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمسـتشرق شـالوم زاوي، عرض وتقويم على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5198/ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-llmstshrq-shalwm-zawy-ard-wtqwym

ثالثًا: نقد منهج المقابلة والمطابقة

وهو من المناهج الأكثر شيوعًا في الاستشراق بنوعيه: القديم والمعاصر، وقد أشرنا إلى شيء من هذا المنهج في الاستشراق الإسرائيلي، خاصّةً عند (أوري روبين) وغيره من مُتصدِّري الاستشراق الإسرائيلي، وهذا المنهج يَقوم على مقابلة النُّصوص بعضها ببعضٍ، ومحاولة مطابقتها؛ لينتهوا منها إلى القول بوجود تَطابق بينَ النُّصوص القرآنية والنُّصوص التَّوراتية إذا كان المستشرق يهوديًّا.

ولا يَخلو هذا المنهج أيضًا من تعصُّب أصحابه، لأنَّهم في الوقت الذي يُطبِّقون فيه هذا المنهج تجدهُم قاصدينَ إثباتَ وجود تطابُقٍ بينَ النصِّ القُرآني وغيره من النُّصوص في الكتب السابقة، ولمجرَّد وجودِ تشابُه هنا أو هناك يَحكمون على الفور باقتباس القرآن من الكتب السابقة عليه.

وهذا المنهج يقوم بالأساس على مقابلة النُّصوص والمقارنة بينها، محاولاً تحليل هذه النُّصوص إلى مكوِّناتها الرَّئيسة وإرجاعها إلى مصادر أخرى في المرحلة السّابقة عليها، "ويَكمن الخطأ في هذا المنهج من جرّاء فرضيّةٍ علميّة رسخَت في ذهن المُستشرقين طبقًا لأحكام مسبقة، مفادها أنَّ هذه النصوص القرآنية التي يَدرسونها ليست إلا صورةً لما وردَ هنا وهناك قبلَ بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكلَّما تطابقَت ملامحُ نصٍّ قرآني مع نصٍّ سابق سارعوا بردِّ ذلك إلى ثقافة الرَّسول التاريخية، وإلى اطِّلاعه على ما جاء في الكتب السابقة، أما حينَ يُوجَدُ اختلافٌ فلا يَردُّونَ

ذلك إلى ما حـلَّ بنصوصهم من تغيير وتبديل وتحريـف، وإنَّما يُلصِقُون تهمةَ التَّحريف والتَّبديل بالإسلام ذاته"[1].

وإلى هذا المنهج نستطيع أنْ نُرجِع أغلبَ القضايا التي أثاروها عن النصِّ القرآني، سـواء ما يتعلَّق منها بقضيّة الاقتباس أو التَّشابه أو دَعوى أسطورة القَصص القرآني، وهذا فيه من المُغالَطة الكثيرُ.

إنَّ الاسـتشراق الإسرائيلي المعاصر يَسـير على هذا المنهج في المقابلة والمطابقة تَحقيقًا لأمرين في ظنِّي: أمر دينيّ وأمر سياسيّ، أما الأمر الدِّيني فمُحاوَلـة الزَّعم بأنَّ القَصص القـرآني مأخوذ من القَصص اليهودي، حتى يَكسـبوا لأنفسـهم مصدريّةً دينيّةً تُحقِّق لهم زعامتَهم السـامية المَزعومة، وأما الأمر السـياسي، فليس بصورة مباشرة، ولكن من محاولة التأكيد على وجـود تبادُل ثقافي يتَّخذونَـه كأرضية لتَحقيق هدفهم في تعاوُنٍ سـياسيٍّ يُحقِّق لكيانهم الشَّرعيةَ المفقودة.

وهذا المنهج -مع بعض الاختلافات في الغايات والأهداف- هو ما يُمكِنُ ردُّه إلى بعض زعماء الاسـتشراق القديم، الذين استخدموا هذا المنهج في ردِّ القَصـص القرآني إلى مصـادر يهودية أو نصرانية، لكـنَّ الكلَّ في رأينا كان مصيرُه الفشـلَ لضعف الحُجّة التي اسـتند إليها، وللعوار الواضح في تطبيق المنهج. فـ (بلاشـير) في كتابه "معضلـة محمد" عمد إلى الحديث

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص٤٢.

عن القَصص القرآني وفقَ هذا المَنهج، بل لقد ظهر في كتابه مدحٌ لأولئك المستشرقين الذين انتهجوا هذا المنهج، وعمدوا إلى محاولة إيجاد تشابُه بين القَصص القرآني والقَصص الكتابي[1]. ومن ثَمَّ فلا مفرَّ من القول بأنَّ هذا المنهج مُتغلغِلٌ في الذات الاستشراقية منذ بدء الاستشراق ذاته، بل لا مفرَّ من القول إنَّها كانت محاولات باءت بالفشل الذَّريع؛ نتيجةَ ما قامت عليه من أخطاء منهجية وروح تعصُّبية واضحة.

هذا المنهج، منهج المقابلة والمطابقة، المقابلةُ فيه انتقائية، والمُطابقة فيه معدومة، حيث إنَّ المستشرقين يَعمدون وهم بصدد القَصص القرآني مثلاً إلى مقابلة بعض أجزاء القِصة القرآنية -وليس كل القصة- لتشابُهها مع غيرها من أجزاء القَصص التوراتي، مُعرِضين عن أجزائها الأخرى التي تُبيِّنُ مظاهرَ الخلاف بينها وبين هذا القَصص، ثمَّ يَبنون عليها نتيجةً فاسدة مُؤدّاها أن القَصص هنا وهناك مُتطابق، ومن هنا فهي مُقابَلة انتقائية تَعمد إلى تحقيق الأحكام المُسبقة والفَرضيات العقدية التي تحكَّمت بأذهان المستشرقين، فالمستشرقون تَقودهم الأحكام المُتغلغِلة في ذهنياتهم إلى انتقاء ما يُثبِتُ -من وجهة نظرهم- توجُّهاتِهم وأيديولوجياتهم العقدية.

إنَّ المقابلة التي كان يَصطنعها المستشرقون اليهود حول القصص القرآني كانت تَعمد أيضًا إلى الإعلاء من شأن القَصص التَّوراتي والحطِّ من قدر

---

١ - بلاشير: القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، ص٥٦.

القَصص القرآني، ولذا فهم لم يُعنَوا باستخلاص المَضامين والأحوال التي كانت تتوارد فيها القصة القرآنية لأهداف سياقية وبلاغية، فالقِصة القرآنية قد تكرَّرَت في القرآن أكثر من مرة، لكنَّها في كلِّ مرة كانت تحمل جانبًا جديدًا لم تكشف عنه من قبلُ، ومن ثَمَّ فإن إغفال المستشرقين هذا الأمر معناه أنَّهم أخضعوا المنهج لأهداف غير علمية.

أمّا التطابُق الذي حاول هؤلاء المستشرقون إيجادَه فلم يَحدث إلا في أذهانهم؛ لأنَّ المطابقة تُبنى على المقابلة، وبما أن المقابلة كانت منقوصة، فإن المطابقة من غير المتوقع عقلاً أن تَحدث. فالمطابقة تَقتضي أن يُطابِقَ الشَّيءُ الشَّيءَ بالكلِّية، وهذا ما لا يُمكن أن نجده في القَصص القرآني؛ لأن هذا القَصص يَختلف كثيراً عن القَصص في التَّوراة، فضلاً عن أنَّ هذا القَصص يَحمل في طيّاته أصولاً عقدية تختلف بالكلِّية عن الأصول العقدية في التَّوراة، وهذا من أهمِّ الأدلة على أن القَصص القرآني يَختلف في الكثير من تفاصيله ومضامينه عن القَصص هنا وهناك، فقد جاء القَصص القرآني مُصحِّحًا -في نظري- لكلِّ ما جاء في القَصص الكتابيِّ من أخطاء عقدية وتاريخية، وهذا أمرٌ يَقضي على فرضية المطابقة من جذورها.

إنَّ المستشرق اليَهودي المعاصر (أوري روبين) حاول تطبيقَ هذا المنهج هنا، فهو يتحدَّث مثلاً عن قول الله -تعالى-: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاء وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ¤ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ**

اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ¤ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ¤ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ¤ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ¤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ¤ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦].

وهو يَعمد إلى التأثير على القارئ الغربيِّ، خاصّةً بالزَّعم أنَّ القرآن يَسير على نهج الكتاب المقدَّس في القَصص القرآني، وأنَّه يَقتبس هذا القَصص منه، ومن ثَمَّ يحاول أن يصل به إلى نتيجة يَرضاها، وهي أنَّ القرآن مأخوذ من الكتب السابقة عليه، ومن ثَمَّ فلا إسلامَ حقيقيٌّ ولا دينَ اسمُه الإسلام؛ لأنَّه حسب ظنِّه مُنتَجٌ بشريٌّ. فلماذا إذنْ يَنتقد كلَّ رأيٍ يَكشف عن هذا التوجُّه اليَهودي منذ القِدم؟! فهو يقول: "إنَّ وجهة النَّظر القائمة على أنَّ الزَّنادقة نماذجُ انشقاقٍ يَهودية ومسيحية لا تَعكس فقط التَّفسير القرآني، ولكنَّها تَعكس -إضافة إلى ذلك- مَقولات صريحةً لرجال الدِّين"[1]. فلماذا إذن يَنتقد وجهةَ النَّظر هذه، وما الذي قدَّمه اليَهود للإسلام منذ ظهور

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image, P. 61.

الإسلام حتى يُغيِّر المُسلمون هذه النَّظرة؟! أليسَت توجُّهات (روبين) نفسه وأفكاره تَسير في الاتِّجاه ذاته؟! فكيف يَنتقد هذه النَّظرة؟! إنَّه وغيره إن أرادوا أن يُغيِّر المسلمون هذه النَّظرة عليهم هم أولاً أن يُغيِّروا من نظرتهم للإسلام وللنبيِّ الكريم، أما أن يَطلبوا تغيير تلك النَّظرة في الوقت الذين يُصوِّرون سيدَنا محمدًا في صورة السّارق الذي سرق القَصص القرآني من التَّوراة، فذلك يمُثِّل منطقًا مُعوجًّا وعقلية مريضة.

ولكن إذا كان (روبين) يَزعم باقتباس القرآن من التَّوراة، مُستدلاً أيضًا بقصة سيدنا موسى هنا، فلماذا يحاول إظهارَ التَّشابُه في هذه القصة دون أن يُشير إلى الاختلافات الجوهرية، والتي تحكم بمصداقية على استقلالية القَصص القرآني عن القَصص التَّوراتي في هذه التفاصيل، التي تَحكم بدورها على مصدريته الإلهية؛ إذ يَستحيل على البشر أن يَصلوا إلى هذه التفاصيل دون عَونٍ إلهي.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن القَصص في التَّوراة احتوى العديد من الأخطاء على صعيد الحقائق التاريخية وعلى صعيد الحقائق العلمية، فإذا كان القرآن يَقتبس من اليهودية، فلماذا ضربَ صفحًا عن الخطأ منها، ولم يَنقلْه عنها، إلا إذا كان كتابًا من لدن الله تعالى؟[1]

ومن جانب آخر فإنَّ اختلاف الرِّواية بين التَّوراة والقرآن لَيَحكم للقرآن بالمِصداقية، فالرّاوي في قصة سيِّدنا موسى في القرآن هو الله تعالى، في

١ - انظر: موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص٥٦.

حين أن راوي القِصة في التَّوراة شخصٌ ما جاء بعدَ وفاة سيدنا موسى، وهذا ما كان يَجب أن يُوجِّه (روبين) ناظرَيه إليه، فنحن أمام قَصص إلهي في القرآن في مقابل القَصص التوراتي الذي تمَّ التدخُّل البشري فيه؛ حيث كُتب بعد سيدنا موسى. إنَّ الخطاب الإلهي في القرآن يَحكم بمصدرية القَصص القرآني، فالله تعالى يقول: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [القصص: ٤٤]، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [القصص: ٤٦].

هـذه الآيات وغيرها كثـير تحكم بأنَّ المُتحدِّثَ هنا هـو الله تعالى، في دليـل واضح عـلى مصدرية هذا القَصص الإلهـي، في حين نجد أنَّ قصة سـيدنا موسى في التَّوراة تَحكم بأنَّ الرّاوي شخصٌ جاء بعد سيدنا موسى بفترة طويلة، قيل إنها أربعة قرون[1]، فعَن أيِّ شيء يتحدَّث (روبين)؟!! لو كان مُنصِفًـا حقًّا لَتناول ذلك أو وضعَه في اعتباره، وهو بصدد مقارنته بين القَصـص القرآني والقَصص التَّوراتي؟ ومن جانب آخر فإنَّ التَّوراةَ الحالية

١ - انظـر: محمد عـلي البار: الله جل جلالـه والأنبياء في التـوراة والعهد القديم - دراسة مقارنة، ص١٩٠.

أكـبرُ حجمًا من تلك التي كانت على عهد سـيدنا موسى، إذ كانت مُجرَّدَ أناشيد ووصايا عشر، ونبوءات يعقوب وموسى[1]، فكيف زاد حجمُ التَّوراة بهذه الصورة التي تمُثِّل أضعاف أضعاف ما كانت عليه أيام سيدنا موسى؟ ألا يَحكـم ذلك ببشرية التَّـوراة وقَصصها التَّوراتي؛ نتيجـة ما دخل عليها وعليه من إضافات بشرية أخلَّت بالأصل؟!

ومـن جانـب آخـر، فقد سـبق (أوري روبـين) في ذلـك المسـتشرقُ (إبراهام جايجـر)[2]؛ حيـث كتبَ كتابًا أسـماه: "ما الذي اقتبسـه محمَّدٌ مـن اليهودية؟"، محاولاً السَّـير في دراسـته وفقَ منهـج المقابلة والمطابقة، لـكي يبحث في تأثير القَصـص التَّوراتي في القَصـص القرآني. وهنا تكمن الإشـكالية، إذ إنَّنا نعتقد أن الاسـتشراق اليهودي الذي يمُثِّله (جايجر) وغيرُه كان له تأثير كبير في الاستشراق اليَهـودي المعاصر، فكلُّهم يَبدأ وهو يَضع في ذهنه قاعدة مُترسِّـخةً قوامُها أنَّ ما جاء في القرآن إنْ هو إلا اقتباس من العَهد القديم، وهذا يَتنافى مع المنهج العلمي.

إنَّ الإشـكالية تَكمن في أن بعض المسـتشرقين لديهم قناعات راسـخة وفروض مُتعسِّـفة، واعتقادات شـبه يَقينية أنَّ الإسـلام نسـخةٌ مُكرَّرة من الديانات السـابقة، وأنَّ الرسـول (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتبسَ أغلبَ

١ - انظر: إبراهيم أحمد الديبو: ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، ص٤٦٣.

٢ - مسـتشرق يهودي ألماني، من ممثلي الاسـتشراق القديـم، (١٨١٠م - ١٨٧٤)، اهتم بالتشابه الموجود بين القرآن والكتب المقدسة عند اليهود.

مبادئـه وتعاليمه من الكتب المُقدَّسـة، ومن ثَمَّ فإنَّ المسـتشرق اليهودي يهرع لكي يَعقـد مقارنةً ظالمة بين نصوص التَّـوراة وآيات القرآن الكريم، ويظلّ يُنقِّب عن أوجه النَّظائر بين كتابه والقرآن والقَصص الوارد فيهما، ثم يُصبح محمَّدٌ قصرًا مُستمِدًّا هذه المَعارف من التوراة[١].

وهـذا الموقف نجده عن (جايجر) بصفته واحدًا من مُمثِّلي الاسـتشراق اليهـودي عامّـةً، والقديم خاصـة، فقضية عدم الإنصـاف في ربطهم بين الآيات القرآنية ونصوص التَّوراة واضحة بشدة، فما أكثر ألوان التعسُّف التي يتَّخذونها مَنهجًا في هذا الرَّبط! فمَنهجُهم واحد -وطريقتُهم أيضًا واحدة- يقـوم على تتبُّـع الألفاظ والآيات ثم يَعمدون إلى مناهـج تحليلية ومقارنة تسـتند إلى منهج إسقاطي واضح، ومن ثَمَّ تَنتهي النَّتائج المستخلصة إلى نتائـج أبعد مـا تكون عن الإنصـاف، بحيث يظهر عليهـا مجافاة الحقيقة تمامًا، وإن تزيَّتْ بزِيٍّ علمي. فـ (جايجر) على سـبيل المثال يظلُّ يَبحث ويُنقِّب عن الأشـباه والنظائر لعقد مقارنة مهـما كانت غرابةُ هذه المقارنة، فضـلاً عن أنَّه لم يعتمد في هـذه المقارنة إلا على المصـادر العِبرية التي يَرجِعُ تاريخها إلى ما قبل البعثة المحمدية، ولا شكَّ أنَّ هذا المنهج مُبتسَر ويُخالف أُسسَ المنهج العلمي[٢].

---

١ - محمد عبد الرحيم الزيني: الاستشراق اليهودي، ص ٣٦.

٢ - محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية، ص ٣٦.

ولو كان كلام (جايجر) وغيره من حاملي فرضية اقتباس القَصص القرآني من التَّوراة، سواء في الاستشراق القديم من أمثال (نولدكه - Nöldeke) و(جولدتسهير) وغيرهما، أو في الاستشراق المعاصر من أمثال (شالوم زاوي) و(جاك بيرك - Jacques Berque) و(وليام فيدرر - William Federer) وغيرهم، صحيحًا لَوجب على سيدنا محمد أن يكون مُلمًّا باللغة العبرية فضلاً عن السريانية واليونانية، أو كما يَرى أحد الباحثين لَوجب أن يكون عنده مكتبةٌ ضخمة تحوي آلاف المراجع والكتب الخاصة بالتلمود والأناجيل الأربعة والمجامع الكنسية واختلافات المذاهب المسيحية ومؤلَّفات فلاسفة اليونان وأدبائها[١].

وفي السِّياق ذاته يَسير المستشرق الألماني (هاينريش شباير - Heinrich Schreiber)[٢] -وهو مستشرق يهودي أيضًا- كتبَ كتابًا أسماه: قصص أهل الكتاب في القرآن[٣]، كذلك المستشرق اليهودي (إبراهام كاتش - Abraham Katsh) صاحب كتاب Judaism In Islam، والمستشرق الإسرائيلي المعاصر (شالوم زاوي)[٤] الذي كان مُتأثِّرًا بـ (إبراهام كاتش) باعترافه في أنَّ هناك خاخامات مُثقَّفين أثَّروا في محمد الذي تهوَّد تقريبًا

١ - انظر: عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد ضد منتقديه، ص٢٤.
٢ - مستشرق ألماني (١٨٩٧ - ١٩٣٥م)، أستاذ في الدين المقارن.
٣ - انظر: هاينريش شباير: قصص أهل الكتاب في القرآن.
٤ - مستشرق يهودي من أصل جزائري (١٩١٦ - ٢٠٠٩م).

من وجهــة نظره[١]. بل إنَّه يَزعــم بأنَّ المعارف التي اكتســبها النبيُّ محمد اســتقاها من أقــوال اليهود والنصــارى ووثائقهم الموجــودة في معابدهم بالحجاز واليمن والحبشة[٢].

ولا نشــكُّ في أن ما يقولــه (زاوي) وغيره من المســتشرقين المعاصرين الذين يمُثِّلون الاســتشراقَ المعاصر أو الاســتشراق الجديــد ليس أكثر من تَرديد لأقول الســابقين من أمثال (إبراهام كاتش) و(جولدتسهير) و(جايجر - Geiger) وغيرهما ممَّن قالوا بهذه الآراء التي لا تستند إلى دليل يَنقع غلَّةً كما يُقال.

ولا غرابةَ في أقوالهم هذه سواء أكانوا معاصرين أم كلاسيكيين، فقد أنبأنا القرآنُ منذ نزوله بكلِّ هذه الأباطيل التي يَعمدون إليها بعقولهم القاصرة منذ ١٤٤٦عامًا، وأنَّ المُعارضين والمُناوئين افترَوا على النبي محمد (صلى الله عليه وآله سلم) الفريةَ ذاتهَا. يقول الله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا**

---

١ - شــالوم زاوي: مصــادر يهودية في القــرآن (بالعبرية)، ص ١٣ نقــلاً عن: محمد جلاء إدريس: الاســتشراق الإسرائيلي في المصادر العبريــة، ص ١٢١. & انظر: أحمد البهنسي: "كتاب مصادر يهودية في القرآن للمســتشرق شــالوم زاوي – عرض وتقديم"، ص.ص. ١٤ وما بعدها.

٢ - شالوم زاوي: مصادر يهودية في القرآن (بالعبرية)، ص٣١. نقلاً عن: محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص ١٢١.

﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. ويقول -تعالى-: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ [الفرقان: ٥]. فالفرية قديمة، والمُستشرقون القُدامى والمعاصرون ليسوا أكثرَ من مُجرَّد مُقلِّدينَ ومُحاكينَ لصانعي الشُّبَه القديمة بدليل ما ذكره القرآنُ. وهذا يَقودنا إلى قضية بالغة الأهمية، وهي أنَّ هؤلاء القوم يُعيدون تقديم الشُّبَهِ القَديمة التي ظهرَت في صدر الدَّعوة الإسلامية، ولكن بزيٍّ جديد، ومن وراء ستار الحَداثة والتقدُّمية، لكنَّ المتأمِّلَ فيها يَجدها يَعلوها الصَّدأُ، لظهورها على الساحة منذ أربعة عشر قرنًا وأكثر من الزَّمان.

وما ذهب إليه (شالوم زاوي) هنا وأختُه في الاستشراق (حافا لزروس يافا - Hava Lazarus-Yafeh) سبقهما إليه باعتراف (زاوي) عددٌ من المستشرقين هم: (جولدزيهر) و(إبراهام كاتش)، كما ردَّدَه آخرون مثل: (جوستاف لوبون - Gustave Le Bon) و(ريتشارد بل - Richard Bell)، و(جورج سيل - George Szell) و(كاسميرسكي - Kazimirski) و(إبراهام جايجر - Abraham Geiger)، وهناك كتبٌ كاملة تَحمل عناوين تُفيد ما ذهب إليه المستشرقون الإسرائيليون؛ إذ نجد الزَّعم بأخذ محمد (صلى الله عليه وآله سلم) لدينه من اليهود واضحًا في عناوين الكتب والأبحاث[1]، ومن هذه الكتب التي استقى الاستشراقُ المعاصر منها شُبهاته -فيما

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص١٢٢.

أظنُّ- وهي تمُثِّل الاستشراقَ القديم وهي[١]:

- الراهب بحيرا والقرآن، كراديغوا، سنة ١٨٩٨م.
- السامريون في القرآن، جوزيف هاليفي، سنة ١٩٠٨م.
- عيسى في القرآن، جروهمان، ١٩١٤م.
- القرآن.. الإنجيل المحمدي، سترستين، ١٩١٨م.
- الإسرائيليات في القرآن يوشع فنكل، ١٩٣٢.
- عناصر نصرانية في القرآن، أزنير، ١٩٣٥م.
- القصص الكتابي في القرآن، شباير، ١٩٣٩م.
- النصرانية واليهودية في القرآن، برمشتارك، ١٩٥٣م.

وهنا يُرجِع كلُّ مستشرق منهم القَصصَ القرآني إلى الكتاب المقدَّس، دون أن يُبيِّنَ كيفيّةَ الاختلافات في الجانبَين؛ ذلك أنَّ الكتاب المقدَّس تناولَ هذا القَصص بأسلوب ومعالجة وحقائق تختلف عمّا عليه الحالُ في القرآن، فليس المهمُّ الزَّعمَ بأنَّ هناك اقتباسًا لمجرد وُرود القِصة هنا وهناك، ولكنَّ المهمَّ هو كيف تناول القرآن هذه القصص وكيف تناولَها الكتابُ المقدَّس؟ ما الاختلافات الجوهرية هنا وهناك؟ وما صحّةُ القَصص بالمقابلة بالمعارف العلمية المعرفية والتاريخية الثابتة؟ ولنضرب

١ - انظر: محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ص.ص. ٣٤-٣٥.

مثالاً بسيطًا بقصتي سيدنا نوح وسيدنا لوط في الكتاب المقدَّس وفي القرآن الكريم، فالأوَّل يُظهِرُهما في صورة مُزرية يَشربان الخمرَ إلى السُّكر، ويَرضيان الفاحشةَ في أهل بيتهما، أما الثاني فيُظهِرُهما في صورة نبيَّينِ مُكرَّمَينِ اصطفاهما الله -تعالى- لرسالته، لِما فيهما من شروط النبوّة، وأهمُّها الأصل الطَّيّب والأخلاق والنَّخوة والرُّجولة الحَقّة، أفترَى هل أنصف الكتاب المقدَّسُ هذين النَّبيَّينِ؟ أم تُرى أنَّ القرآن أهانَهما؟ وقِسْ على ذلك القَصص القرآني الذي لا يَتعارض مع الطَّبيعة الدِّينيّة للأنبياء، كما أنَّه لا يَتعارض مع المعارف التاريخية في المراحل التاريخية التي تَدور أحداث هذا القَصص فيها.

أي إنَّ الاستشراق اليهودي المعاصر -سَيراً على درب سابقِه- يُحاول بشتّى الطُّرق أن يجعل القَصصَ القرآني مُقتبَسًا من الديانات السابقة، ولَيتَه وقفَ عند حدود الكُتب السَّماوية: التَّوراة والإنجيل لِيُدلِّلَ على فكرته المَزعومة، لكنَّه يُؤثِرُ أن يُقحِمَ كتبًا بشرية لكهنة ورهبان في القضية، فيدَّعي أن هذا القَصص مُقتبَسٌ منها. وهذا ما تتمحور حوله دراسات المستشرق الإسرائيلي (أوري روبين).

إنَّ قِصصَ آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وعيسى وهود وصالح لها وجودُها في الديانة اليَهودية، كما هو الحال في الإسلام، ولكنْ هل وجودُها هنا كوجودها هناك؟ بالطَّبع الأمرُ مختلف جدًّا، فهل صورة هذا القَصص في القرآن كصورة القَصص في التَّوراة؟ بالطَّبع لا أيضًا، فلماذا الإصرارُ إذنْ على ردِّ هذا القَصص إلى الديانة اليهودية؟

هــذا الأمر يتجلَّى في أنَّ بعض القَصص القرآني أو حتى بعض التَّفاصيل الواردة فيه –لا سيَّما قِصص داود وسليمان ويوسف– لم يجد المستشرقون الإسرائيليون شــبيهًا لها في التَّوراة، فحاولوا إيجاد تشــابُهات لها عمدًا في الكتب الدِّينية "المدراشــيم" و"الآجادا" اليهوديــة؛ لردِّها إليها، وهي كتبٌ لعدد من الحاخامات اليهود الأوائل، أُلِّفَت خلال العصر الوســيط، ومليئة بالقصص والأســاطير والمواعظ الدينية حــول الخاخامات اليهود، وذلك عــلى الرَّغم من أنَّهــا كُتبت لاحقةً للقــرآن الكريم من الناحيــة التاريخية، وليســت ســابقة عليه، إذ كُتبت وبدأت تَظهر للوجــود بداية من القرن ١٤ الميــلادي[١]. وهذه الدَّعــوى لا تختلف كثيرًا عماّ ذهب إليه المســتشرق (مونتجمــري وات - Montgomery Watt)؛ حيــث ذهــب -في الســياق ذاته– إلى أن القَصص الذي ورد في المصادر اليهودية والمسيحية ليس في الأسفار المُعتمدة التي وردت في العهدَينِ القديم والجديد، وإنَّما أرجعها إلى أعمال الأحبار والكتابات الأبوكريفية التي أُلحقت بالعهد الجديد[٢].

ومن تلك الكتابات التي تُرجِعُ القَصص القرآني للآجادا والمدراشــيم –بحسب (البهنساوي)- مقال المستشرق الإسرائيلي (إيتان كوليبرج - Etan

---

١ - أحمد البهنسي: الاســتشراق والاســتشراق الإسرائيلي (٢/١)، حوار منشور على الرابط التالي:

https://tafsir.net/interview/18/al-astshraq-walastshraq-al-isra-iyly-12-

٢ - مونتجمري: محمد في مكة، ص ١٧٠.

Kohlberg) في الموسوعة العبرية العامة حول القرآن، الأستاذ الشَّرفي بقسم اللغة العربية بالجامعة العِبرية بالقدس، والذي يَرى أنَّ هناك كثيراً من الآيات مُتأثِّرة بهما، حيث تتضمَّنان قصصًا لمن سبق سيدنا محمدًا من الأنبياء السابقين عليه، مثل: آدم ونوح وإبراهيم وهود وصالح، وغيرهم من أنبياء الله -تعالى-.

وحتَّى نُقرِّبَ القارئ الكريم من المَقصود بالمدراشيم، لِيُدرِكَ إلى أيِّ مدًى يمُثِّل هؤلاء المستشرقون -ممَّن يُشوِّهون القَصصَ القرآني ويكيلون له الاتِّهامات- وصمةَ عارٍ في جبين العلم والمنهج العلمي، فإننا نَلفت نظرَه إلى أنَّها عبارة عن خطب ومواعظ وتفاسير كتبَها بعضُ الحاخامات اليَهود، وهي لا تهتمُّ بالنصِّ بقدر ما تهتمُّ بما وراء النَّص، ومن ثَمَّ فهي نصوص وقصص بشرية محضة، لكنَّ هذا لا يمَنع من أنَّها اهتمَّت بالجانب التشريعي، أما الآجادا فهي الكتب التي اهتمَّت بالجانب غير التشريعي.

والسؤال هنا مُؤداه: بفرض أنَّ الآجادا والمدراشيم كُتبت قبل نزول القرآن وبعثة سيدنا محمد -مع أنَّ هذا الفرض يُكذِّبُه الواقع؛ حيث كُتب بعضُها بعد ذلك كما سبقت الإشارة- فكيف تسنَّى للنَّبي الكريم أن يطَّلع على هذه الكتب؟! وهل كان على دراية بتلك اللُّغة التي كُتبت بها؟! أتراه قد قرأها في لغتها الأعجمية وهو أميٌّ لا يعرف القراءة والكتابة العربية؟! ولنقلْ إنَّه تعلَّمَها، فكيف تعلَّمَها؟! ومتى تعلَّمَها؟! أتراه تعلَّمَها من (بَحيرا) الراهب الذي قابله في إحدى الرَّحلات؟! أم من (ورقة بن نوفل)؟! ولو

كان تعلَّمَهـا فلماذا لم يَعلَـمْ أهلُ مكّةَ بذلك، وقد كانـوا أوَّلَ من يُذيعون عنه؟! أما إذا كانت الآجادا والمدراشـيم قد كُتب بعضُها بعد القرآن بقرون -وهذا ما نُرجِّحُه وما هو ثابت بالفعل- فإنَّ الحجّةَ تَظل واهية، ولا تَصمد أمـام النقد الصحيح، بل لنا أن نقول حينها إنَّه إذا كانت التَّوراة لم تُسـجِّلْ بعـضَ قِصص الأنبياء أو بعض تفاصيلها، وهذه التفاصيل نجد منها شـيئًا في أجزاء من الآجادا والمدراشـيم اللاحقة للقرآن، فإنَّه يُمكن القولُ حينها أنَّهما هما اللَّذان استفادا من القرآن الكريم لا العكس.

الغريـب في الأمر أنَّ مَن يتمسَّـكون باقتباس القرآن من الكتب السـابقة عليه يُرجِعون ذلك إلى قضية اسـتنتاجية خاطئة انبنى عليها نتائج خاطئة، هذه القضية تنحصر في أنَّه ما دامت التَّوراة والإنجيل سابقَينِ على الإسلام فقد اسـتفاد منهـما، واقتبسَ أجزاء من ثناياهما، ومـن ثَمَّ جعلوا القَصص القرآني منهما؛ اسـتنادًا إلى قاعدة اللَّاحق والسـابق، وتلك هي الإشكالية الكبـيرة التـي وقع فيها المسـتشرقون الكلاسـيكيون والمعـاصرون ممَّن تحاملوا على القرآن الكريم.

فالاسـتشراق اليهـودي القديـم -وهـو جـزء أصيـل مـن الاسـتشراق الكلاسـيكي- سـار على هذا النَّهج، وتأثَّر به الاستشراقُ الإسرائيلي -وهو مـن قبيل الاسـتشراق المعـاصر خاصـةً، وأنَّ أغلب كُتّابـه الآن يَحملون هـذه النَّزعة من أمثال أروي روبين وغـيره- أصرَّ إصرارًا كبيرًا على وصف القَصـص القرآني بأنَّه اقتباسٌ من اليهودية، "إلا أن الاسـتشراق الإسرائيلي

في كثـير من كتاباته يُصرُّ على القول بتأثُّر القرآن بكتب دينية يهودية لاحقة له، والأغرب من ذلك أنَّه بالتحليل الفيلولوجي (اللُّغوي) لبعض القصص الـواردة في هذه الكتـب الدينية المتأخرة (الآجادا والمدراشـيم) ثبتَ أنَّها هي التي اقتبسَـت من القَصص القرآني، لا سـيَّما أنَّها كُتبت في بيئة ثقافية وحضارية عربية / إسلامية، مثل بغداد وفلسطين والشام"[1].

إذنْ نَنتهـي من هذا إلى أن قضيّةَ اقتبـاس القَصص القرآني من التَّوراة أو غيرهـا من قبيل القضايا التي لا تَصمد أمام النَّقد السـليم، وفق المعطيات العقلية والعلمية والدِّينية، فلا العقل يَقبل هذا الزَّعمَ، ولا العلم يُؤيِّده، ولا الدِّين يَترك له فرصةً لذلك، وإنَّما هذه القضية قضية افتراء مَحضٍ كما بيَّنّا، هذا الافتراء يُغذِّيه التعصُّب للعقيدة، ولا يَسير وفق منهج علميٍ سَديد.

وبنـاءً عليه يمُكن القول إنَّ نقد الاسـتشراق للقَصـص القرآني كان يَقوم عـلى منهج غـير علمي؛ حيث كانـت تَقودُهم في ذلـك روحٌ تعصُّبية إما مسـيحية غربية أو يهودية، فالاستشراق كان في الغالب بتوجيه كنسي -إما مؤسسيًّا وتنظيميًّا من الكنيسة، أو بدافع شخصي تحت إلحاحات عقدية- لتَشويهه وتَحريفه عن مقاصده السامية التي سيق من أجلها.

الغريـبُ في الأمر أن الاسـتشراق اليهودي المعاصر، أو ما يمُكن تسـميتُه الاسـتشراقَ الجديد، سـار على الدَّرب ذاته في الغالـب؛ إذ كان همُّه الأول

---

١ - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (٢/١).

الانتقـاصَ من القرآن بما يتضمَّنه مـن قضايا وموضوعات، وأهمُّها القَصص القرآني، مُقتفِيًا في ذلك أثرَ الاستشراق القديم الذي تَملَّكَته روحٌ متعصِّبةٌ إلى أبعد حدٍّ، فكانت البذرة الأولى لما يُسمَّى بالإسلاموفوبيا في الغرب الآن.

إنَّ تشويه المصادر الأساسية للإسلام والتَّشكيك فيها كان هدفًا رئيسًا من أهداف الاسـتشراق الكلاسـيكي والمعاصر، خاصّةً الاستشراق المعاصر في ثوبه الإسرائيلي؛ حيث يُعدُّ هذا الهدف من الأهداف التي يَشـترك فيها الاستشراق اليهودي والصهيوني والإسرائيلي والغَربي؛ فكلُّ هذه المدارس المتعـدِّدة أو المراحل الاسـتشراقية المتتالية حاولَت قدر إمكانها تَشـويهَ المَصادر الأساسـية للإسلام (القرآن الكريم، الحديث الشريف) للتَّشكيك في مـدى مصداقيتهـا وصِحّتهـا؛ لأنَّ الوصول إلى هـذا الهدف معناه في النهاية النَّجاح في القضاء على الدِّين الإسلامي. أما الاستشراق الإسرائيلي فقد لجأ إلى محاولة تَشـويه القرآن الكريم والتَّشكيك في مصادره، وكانَت أبرز أدواته في ذلك إعداد تَرجمات عبرية غير أمينة ومشوَّهة لمعاني القرآن الكريم، مع تَزويدها بحـواشٍ وهوامش تَرُدُّ المادةَ القرآنية لمصادر يهودية ومسيحية ووثنية[1].

وإذا كانَـت القـراءاتُ الاسـتشراقية في الغالب قـراءاتٍ عقديّةً، بمعنى أنها تقرأ الإسـلامَ عامّـةً، والقَصص القرآني خاصةً، وهـي مُحمّلةٌ بنظرتها

١ - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

العقديــة والدِّينيــة إليه، وهي في الغالــب نظرةٌ تعصُّبية لا تُعطي الإســلامَ قيمتَــه الحقيقية كدِين، وإنَّما تَعمل على تقويضه وتهميشــه ومحاولة النَّيل المُســتمرِّ منه - فــإنَّ هناك قراءات أخرى كالقراءة السياســية، والتي تعمل على محاولة تفســير النصِّ القرآني تفســيراً تُحاول من خلاله كسبَ شرعية سياسية، وهناك القراءة الثَّقافية التي تُحاول الانطلاقَ من التَّشابُه بين بعض القصص أو تفاصيل القصص هنا وهناك لإقامة أُطُر ثقافية.

رابعًا: نقد المنهج الإسقاطي

هذا المنهج أيضًا لا نســتطيع إهمالَه في الدراســات الاســتشراقية عامّةً، والدراسات الاســتشراقية اليهودية المعاصرة خاصّةً، فالمستشرقون قديمًا وحديثًا -إلا المُنصفين منهم- يَدرســون النصَّ القرآني، وهم ليسوا بمنأى عــن توجُّهاتهــم وأيديولوجياتهم، حيث يقوم هــذا المنهج على تصوُّرات ذهنيــة في عقلية المســتشرق، التي تَحمــل مجموعة من الأفــكار التي لا توجــد إلا في تلــك الذِّهنية، لكنهــا لا وجود لها حقيقةً، ومــن ثَمَّ يحاول أن يُوجــد هذه التصوُّرات عنوةً من خــلال فرض فروضٍ وهميّة، والتماس مواقفَ بعيدة عمّا تُقدِّمه المعطياتُ الموجودة في النص القرآني.

ومــن ثَــمَّ فإنَّ المناهج التي اســتخدموها لا تُــؤدِّي إلى نتائج علمية في الدراســات الإسلامية، فقد قاموا بعملية إســقاط تعسُّفية لتصوُّرات ذهنية، وأطلقــوا أحكامًا عامةً، لا تُراعي خصائص الحضارة الإســلامية ومبادئَها.

إنَّهم يحاولون ليَّ النصوص وتطويعها، وتفسيرها وتحليلها لتتوافق مع أحكامهم المُسبَقة، من أجل الوصول إلى نتائج علمية افتراضية، لا تتَّفق بحال مع البحث العلمي النَّزيه[١].

فالباحث عندما يضع في ذهنه صورةً فكرية مُعيَّنة، لا وجود لها من الناحية الفعلية، فإنَّه يبحث لها عن المُبرِّرات من أجل إسقاطها على الواقع الثقافي والحضاري لتفسيره، وفقًا لهواه ومزاجه وثقافته وبيئته الدِّينية[٢].

هذا المنهج إذنْ يَعمد إلى إسقاط تصوُّراته وأيديولوجياته وفروضه اللامنطقية على الإسلام بمصدرَيه: القرآن والسُّنة، وعلى علومه وقضاياه، بهدف إثبات فرضية المُحاكاة والاقتباس، ولذا فهو يَسير في مواقفه منه على هذا المنهج الذي يَطمس الحقيقة رجاءَ تحقيق هدف ليس له نصيب من الواقع. والغريب في هذا المنهج أنَّه حين يجد المُعطَيات والحقائق تَسير عكس ما يُريد تراه يَلوي عنقَها؛ كي يَهدمها ويَنفيها، على الرَّغم من ثبوتها.

ومن ثَمَّ فقد يتَّفق هذا المَنهج مع تصوُّر مُشابِه يُطلَق عليه المنهج العَكسي في دراسة الظَّواهر الإسلامية، وهو المَنهج الذي يأتي إلى أوثق الأخبار وأصدقها، فيَقلبها عمدًا إلى عكسها، وفقًا لتصوُّر مُسبَق مُسيطِرٍ

---

١ - انظر: أحمد بابانا العلوي: "المستشرقون والدراسات القرآنية".

٢ - ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص١٦٩.

على المستشرق، ومن ثَمَّ فإنَّ تطبيق هذا المنهج من جانبه يُؤدِّي إلى صدور أحكام مُتعسّفة ليس لها علاقة بالموضوعية أو التَّحليل العلمي السليم[١].

الغريب في هذا المنهج أنَّ أصحابه يَعمدون إلى الادِّعاء بخطأ النصِّ القرآني في حال اختلافه مع النصِّ الوارد في التَّوراة، مع أنَّ الأمر خلاف ذلك؛ إذ إنَّ النصَّ التَّوراتي هو الذي يَحوي اختلافات جوهرية تتناقض مع النصِّ القرآني، ومع الحوادث التاريخية الثابتة، كما سبق أن بيَّنا، لكن المنهج الإسقاطي يظهر هنا بوضوح، بحيث يتَّهمون النصَّ القرآني بما هو جدير بالنصِّ التَّوراتي في قطاع كبير منه.

هذا المنهج الإسقاطي يُعدُّ في نظرنا الأكثرَ شيوعًا في الدِّراسات الاستشراقية بجانب مناهج أخرى، بدليل الفرضية الرَّئيسة التي يَنطلق منها هؤلاء، وهي أنَّ "القرآن من صُنع محمد"، وفي إطار هذه الفرضية يُسقِطُ المستشرقون كلَّ أفكارهم الذِّهنية المُسبَقة عن الإسلام على النُّصوص والقضايا، فتَخرج الأحكامُ غيرَ مُعبِّرة عن المنهج العلمي السليم، وإنَّما تَخرج وهي مُحمَّلةٌ بأفكار استِباقية في ذهن وتصوُّر المستشرق ذاته.

ولعلَّ من أشهر المستشرقين المعاصرين الذين يستخدمون هذا المنهج -إضافة إلى مناهج أخرى بالطَّبع سبق ذكرها- (شالوم زاوي) في كتابه: "مصادر يهودية في القرآن". حيث تَعامَل مع النصِّ القرآني تفسيراً وفَهمًا

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص٤٤.

وتأويلاً بالاستناد إلى خلفيات مُسبَقة تتحكَّم بالمَنهج وطريقة التَّفسير[١]. وهذه الخلفياتُ المُسبَقة لا تَعني إلا شيئًا واحدًا وهو المَنهج الإسقاطي، الذي يُسقِطُ ما في النَّفس على المادة التي يَتناولها، فيَحكم فيها بناءً على هذا الإسقاط وتلك الخلفية.

خامسًا: نقد المنهج التحليلي

والمنهج التَّحليلي في حقيقته هو منهج علميٌّ، إذا طُبِّقَ بعيدًا عن التعصُّب والأهواء والأفكار المُسبَقة فإنَّه من أنفع المناهج العلمية، لكنْ إذا استُخدم في ضوء هذه الأمور اللاعلمية فإنَّ النَّتائج حينها سوف تكون غيرَ مُعبِّرةٍ عن الواقع، ولن تُفيدَ العِلمَ والمعرفة في شيء.

هذا المنهج يَقوم على تحليل القضيّة وتجزئتِها إلى مجموعة من المُكوِّنات، ثم إعادة تَجميعها وبناء الأفكار المُستوحاة منها، فالمنهج التَّحليلي في دراسته للظّاهرة يَعمد إلى رَدِّها إلى عناصرها الأولية، كالظُّروف الدِّينية أو الاجتماعية أو السِّياسية، وخطورة تَطبيق هذا المَنهج إنَّما تكمن في حتميّةِ تأثُّر المُستشرق ببيئته وثقافته ودينه وحضارته، ومن ثَمَّ لا يُمكن أن يَصل إلى نتائج سليمة في دراسته للظَّاهرة الإسلامية، فإنَّ الأخذ بهذا المنهج قد أدَّى إلى الحُكم على الحضارة الإسلامية بالجَدْب،

---

١ - انظر: العياشي العدرواي: ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة، ص٧.

وعلى الدِّين بالجُمود، وعلى الوحي بالاضطراب، وعلى التَّوحيد بالتَّجريد، وعلى الشُّعوب بالتخلُّف[١].

لكنَّ الإشكالية ليسَت في المنهج كمنهج؛ لأنَّ المنهج خطواتٌ علمية مدروسة تُؤدِّي إلى نتائج حقيقيّة، بيد أنَّ المشكلة فيمن يُطبِّق المنهجَ، ويُخضِعُهُ لأهوائه وأغراضه وأيديولوجيته، وهذا ما نجده واضحًا في معظم إنتاج المستشرقين قديمًا وحديثًا، وخاصّةً فيما يتعلَّق بالنصِّ القرآني، الذي قالوا فيه كلامًا كثيراً، فقد كان المستشرقون يَنظرون إلى السِّياق القُرآنيِّ على أنَّه آية وقصة وسورة وكلمة من منظور منهجهم التَّحليلي، فجعلوه مُكوِّناتٍ وعناصرَ مُتباعدة الأجزاء، لِيَحلو لهم بعدها أن يقولوا ما شاؤوا.

وقد ظهر هذا المنهج أكثر ما يكون في الأبحاث والدراسات التي يقوم بها الاستشراقُ المؤسَّسيُّ اليَهودي المعاصر، ونَعني به مراكز الأبحاث والدراسات، أو ما يُطلَق عليها خزانات التفكير، وعدد هذه المراكز يتجاوز السَّبعين، وهي تَعتمد على تحليل الواقع العربي اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا من خلال بحوث مُعدّة لذلك خدمةً للمخطط الصهيوني. ومن ثَمَّ فإنَّ هذه البحوث تَقوم على منهج تحليلي، لكنَّه في النهاية لا يَتخلَّى عن التشبُّث بالأفكار المُسبقة التي تَجعل من التَّحليل تحليلاً يُحقِّق غايات مُعيَّنة تَتماهى مع هذا المُخطَّط.

---

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص٤٥.

كـما أن هذا المنهج يَظهر في كتابات المسـتشرقين اليهود المعاصرين، وهـو من أكـثر المناهج تطبيقًـا في الدِّراسـات البحثية، لكنْ مـن المُهمِّ أن يُوجَّـه جيِّدًا، بمعنـى أن يُوجَّهَ من أجل العلـم، لا من أجل شيء آخر. ومـن ثَمَّ فإنَّنا نجـدُه مُطبَّقًا عند أوري روبين، وشـالوم زاوي وغيرهما من أعلام الاسـتشراق الإسرائيلي، كما نجده بصـورة أكثر وضوحًا في كتابات المسـتشرق اليهودي المعاصر برنارد لويس، خاصّةً في كتاباته عن التاريخ الإسلامي وقضايا الإسلام، بل في كلِّ كُتبه الاستشراقية.

سادسًا: المنهج التأريخي

من الثابت أنَّ المنهج التاريخي عند المستشرقين منهجٌ منقوص؛ كونهم يَعتمـدون على بعض الرِّوايـات الثابتـة تاريخيًّا، فيَعمدون إلى تفسـيرها وتحليلها حسب هواهم، لإثبات شيء هم يُريدونه، أو يُضخِّمون الحدثَ، ثـم يَبنون عليه نتائجَ لا يتحمَّلُها، كما في حادثة (ورقة بن نوفل)، أو حادثة (بحـيرا الراهب). والأغرب أنَّهم يتَّكِئُون على بعض الحوادث دون غيرها، وبعض الرِّوايات دون بعض، فيكون المنهج التاريخي لديهم منهجًا مُصابًا بالعوار؛ لأنَّه لم يشمل كلَّ الأحداث التاريخية حول القضية حيِّز الدراسة.

ولو كان هؤلاء يَعتمدون المنهجَ التاريخيَّ حقًّا لربطوا النُّصوص التاريخية بعضَها ببعض، ونظروا إليها على أنَّها تُشـكِّل وحدةً واحدةً، ولو فعلوا ذلك لكان أجدى لهم وللبحث العلمي، لكنَّهم آثَروا النَّظرَ إلى هذه النصوص على

أنَّها في جُزُرٍ مُنعزِلة، وراحوا يُسقطون عليها من أيديولوجياتهم وأفكارهم المُسبَقة التي لا تَنتمي للمنهج العلمي، وإنَّما تَنتمي للأهواء والتعصُّب.

والمتأمِّل في مقدار ما حِيك من قبل المستشرقين في هذا الأمر يَجد أن القَصص القرآني ظلَّ خاضعًا في ذِهنيّتِهم لهذا المنهج الذي اصطنعوه، لكنَّه لما كان غيرَ كافٍ في الوفاء بأغراضهم راحوا يمَزجون بينَه وبين منهج التأثير والتأثُّر، أو منهج المُقابَلة والمُطابَقة، وهذا الأمر واضح جليٌّ في كلِّ اتِّجاهات المستشرقين الكلاسيكيين والمستشرقين المعاصرين أو الجُدد، ويمُكن أن نُدلِّلَ على ذلك بقضية بحيرا الراهب التي ادَّعى من خلالها المستشرقون أنَّ القرآن من انتِحال محمد، مُتأثِّرًا في ذلك بتلك الحوادث التاريخية التي رواها له بحيرا الرّاهب، وقد جَمعوا حولَها العَديد من الرِّوايات، ثم قاموا بتبويبها وترتيبها وإصدار حُكم وفقَ هواهم، قوامُه أنَّ القرآن من صنع محمد. لكن لَمّا أعوزَتْهُمُ السُّبلُ للتَّدليل على تلك القضية المَزعومة، ولم يجدوا في قصة بحيرا الراهب ما يُسعِفُهم بمُرادِهم، لجؤوا إلى قضايا التأثير والتأثُّر، والزَّعم بأنَّ القرآن أُخذ من التَّوراة والإنجيل، وفق منهجهم هذا.

ومن ثَمَّ فإنَّ هذا المنهج التاريخي، الذي استخدمه المستشرقون، ولا يزالون يعتمدونه إلى اليوم، هو منهج قائم على عدم الصِّدق بالمصادر قُرآنًا وسُنّةً، ولذا لا يأخذون كلَّ ما تقول به مصادرُنا الإسلامية إلا ويُعمِلُون فيه مَعاولَ النَّقد، ولا يُقيمون وزنًا إلا لما يَثبت أمامَ النَّقد التاريخي المُصطنَع

-الـذي اصطنعوه- أو الذي يَبدو وكأنَّه ثابتٌ أمامه، وهذا ما قال به (رودي بـارت)[1]. وهذا يُفـسرِّ لنا الاهتمامَ بقضيـة (بحيرا الراهـب) وتَضخيمها وتَصويرها على أنَّها هي المُعينُ لسـيِّدنا محمد عـلى صياغة القرآن عامّةً، والقَصـص القرآني خاصّةً، وهذا أمرٌ في غايـة الغرابة، ولا يَقف أمام النَّقد السـليم، ومن ثَـمَّ كان هذا المنهج منهجًـا عاريًا من العِلميّـة مُغلَّفًا بروح تعصُّبيّة بَغيضة، وهنا مَكمَنُ الخطورة.

وفي هذا السِّياق التاريخي طبَّقَ (أوري روبين) طُرقَ ومناهج علم الإسكاتولوجيا -وهو علم يَبحث عن لاهوت البدايات ونهاية الكون، أو الأحداث الأخيرة قبل نهاية الكون- على بعض الآيات القرآنية التي تتضمن قصصًا قرآنيًا، وتحديدًا الآيات من ١٠٣ - ١٠٦ من سور الكهف، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ¤ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ¤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ¤ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾.

ويَقوم منهـج (أوري روبين) على الوقوف على بعـض الآيات القرآنية في

---

١ - انظر: رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص١٠.
& انظـر: محمـود حمدي زقزوق: الاسـتشراق والخلفية الفكرية للـصراع الحضاري - كتاب الأمة، ص٧٧.

سـورة الكهف، وهي الآيات من ١٠٣ - ١٠٦، مُطبِّقًا الطُّرقَ الإسكاتولوجية عليها؛ حيث يَرى أنَّها تتحدَّث عن الكفار باعتبارهم أكبرَ الخاسرين في الفِرقة الإسرائيليـة[1]. معَ العلم بأنَّ الآيات تُشـير في الغالب إلى اليهود والنَّصارى الذين لم يَسـتجيبوا لأوامر الإسـلام وتعاليمه، فاليَهود كفروا برسـالة سيدنا محمد، والنَّصارى أنكروا جزءًا من النَّعيم الأُخرويِّ كالطَّعام والشَّراب.

وقد حاولَ (روبين) استخدام هذا العِلم وطُرقه في بعض آيات القرآن الكريم، ومنها الآية ٦٩ من سورة التوبة، التي تَحكي عن جزء من مخالفة الأُمم السابقة لأوامر الله تعالى، فكانَت العاقبة خسرانًا مُبينًا، هذه الآية يقول الله تعالى فيها: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [سورة التوبة: ٦٩].

(روبـين) يَرى أنَّ هذه الآيات وفقَ منهجه هذا تُشـير إلى بعض الذُّنوب، حيـثُ تنصُّ سـورةُ التَّوبة، الآيـة ٦٩، في نظره، عـلى أنَّ أولئك الذين من قبلِكُم كانوا أقوى وأكثرَ ثراءً، وسـعدوا بنَصيبهم، كما فعلَ المُعاصِرونَ أي انغمَسوا في الكفر، ومع ذلك فشلَت أعمالُهم في هذا العالَم وفي العالَم في

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image, P. 61.

المستقبل. كما يُشير إلى أنَّ المُفسِّرين يُفسِّرون هذا المَقطع على أنَّه تَحذير للمؤمنين بمصير أولئك الذين انغمَسوا في الأفعال الخاطئة، ولتأكيد هذا المعنى، كما يقول، سجَّلَ الطبريُّ في تعليقه على هذه الآية مأثوراتِ ابن عباس، الذي فَسَّر (مِن قبلكم) أنَّهم أبناء إسرائيل، ثم يُضيف، نحن مثلهم ويُعلِن: أُقسِمُ بالذي يَحمل روحي في يدِه ستَتَّبِعونَهم (أي بني إسرائيل)، وإذا دخلَ أحدُهُم جُحرَ ضَبٍّ لَدَخلتُموهُ معَهم[١].

لكنْ لِنَكُنْ واقعيِّين أنَّه لم يَستخدم هذا العلم وطرقه إلا وهو يَحمل فكرةَ اقتباس القرآن من التَّوراة؛ إذ تظلُّ هذه الفكرة تُسيطِرُ على أي مستشرق يَهودي، سواء كان يُمثِّل الاستشراقَ القديم أو المعاصر، دليلُ ذلك ما يَزعمه روبين من أنَّ مصطلح "من قبلكم" يَتبع -في نظره- تعريفًا إضافيًّا يُشير إلى الأُمم المعاصرة على أنَّها أصلُ السُّنة التي يُقلِّدُها المسلمون، ومن ثَمَّ يُوسِّع (روبين) تعريفَ نطاق بيان السُّنة إلى كلِّ ما كان يُنظَرُ إليه على أنَّه قادم من بيئة غير إسلامية[٢]. لكنَّ السُّنةَ بمعناها المُوسَّع الذي انتهى إليه (روبين) مُغايرٌ لمعنى السُّنة في الإسلام، فالسُّنة بمعناها الاصطلاحي الإسلامي تَعنى ما تركَه لنا الرَّسول من قول أو عمل أو تقرير، أما السَّنَن،

1 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image , P. 61.

2 - Rubin: Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image , P. 61.

بمعنى سَـنَن الذين من قبلنا وقصصهم فهـي للعِظة والعِبرة، وليس معناها الاقتباس والمحاكاة كما يَفهمها روبين حسب مُعطيات أيديولوجيّته.

ومن جانب فإنَّ ما ذكره (روبين)، ممّا أسماه «مأثورات ابن عباس»، ليس إلا حديثًا للرَّسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعَن أبي سعيد الخدري أنَّ رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم، شـبراً بشـبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ تَبعتُمُوهم، قلنا: يا رسـولَ الله، اليهودُ والنصارى؟ قال: فمَنْ؟"[1]. والـكلامُ يُحمَلُ هنا على الاتِّبـاع المَذموم، لا الاتِّباع المحمود والاقتباس كما ذهب (روبين)، وهذا خطـأ كبير، لأنَّ (روبـين) يُقمِّش القضيّةَ لتكون مناسـبةً لما يَدعو إليه من اقتباس الإسـلام والقَصص القرآني عـن اليهودية، فقـام بإخراج مضمون النَّـص من معناه الأصـلي إلى معنًى آخر يُريده، تحقيقًـا لأهداف تعصُّبية صرفة. كما أنَّ نصَّ الحديث يمُثِّل قراءة في المستقبل، أو نبوءة لما سيَقوم به المسـلمون من التأثُّر بغيرهـم في حياتهم وتقليدهم لهم ومخالفة منهج اللـه تعالى، خلافًا لمـا يَذهب إليه (روبـين) من أنَّه يُعبرِّ عـن اقتباس في الماضي ومحاكاة للشرائع أو التعاليم أو القَصص اليهوديّ.

ولنـا على المنهج التاريخي في القَصص القـرآني عدّةُ ملاحظات نَقدية، فهل طبَّقَ المسـتشرقون هذا المنهـج جيِّدًا في مجـال القَصص القرآني؟!

---

١ - البخاري: الجامع الصحيح، ج٩، ص١٠٣، ح٧٣٢٠.

إذ من المعلـوم أن المنهج التاريخيَّ عبارةٌ عـن تجميع الأدلة من الماضي وتَرتيبها وتَصنيفها ثم نقدها، ثم استخلاص الحقائق المُؤكّدة منها بناء على الأدلة والشواهد التي تمَّ جَمعُها، تلك الحقائق التي تُفيد في قضية مُعيَّنة أو موضوع علمي مُحدَّد، لكنَّنا نَرى أنَّ هذا المنهج العلميَّ استُخدم استخدامًا ناقصًا من قِبَلِ المُستشرقين، إلى حدٍّ يمُكن معه وصفُ هذا النَّقص بالعوار.

فالمسـتشرقون عند تطبيقهم هذا المنهجَ على القَصص القرآني وغيره لم يَجمعـوا كلَّ الأدلة -هذا إذا تجاوزنـا ووَصفناها بالأدلة- ومن ثَمَّ فإنَّ أوّلَ خطـأٍ وقعَ فيـه هؤلاء هو فقرُ الأدلة التي تمَّ جمعُهـا وضَحالتها؛ إذ إنَّ كلَّ ما جُمع في موضوعنا محلّ الدراسـة هو حادثتان: حادثة (ورقة بن نوفل)، وحادثة (بحـيرا الراهب)، وبعض الحوادث الأخـرى التي لا تَثبت دليلاً، وهذا أدَّى بدوره إلى نتائج فاسدة، ففقرُ الأدلّة يَقود إلى فقر النَّتائج، وسوءُ الأدلّة يَقود حتمًا إلى سوء النتائج المُستخلَصة.

المسـتشرقون عندما اسـتخدموا هذا المَنهج جمعوا بعـضَ الحوادث، وأغفلـوا كثـيراً منها، والأغـربُ أنَّهم اسـتنتجوا نتائـج مُبالغًـا فيها وغير صحيحة، بناءً على هذه الحوادث القليلة التي استخدموها كمُقدِّمات بنَوا عليهـا نتائجهم، فكيف يُعقَلُ أن يُتَّخذ من حادثـة ورقة بن نوفل أو حادثة بحـيرا الراهب دليلٌ عـلى أنَّهما مصـدر القَصص القـرآني والتَّعاليم التي جاء بها الإسـلام؟! في الوقت الـذي لا تَقودنا هاتان الحادثتان أو غيرهما إلى النتائـج التي انتهَـوا إليها، بل بالعكس تقود عقـلاً ومنطقًا إلى غيرها،

كـون اللِّقـاء في كلِّ حادثة كان لقـاء واحدًا، واسـتغرقَ لَحظاتٍ لا يُمكِن أن تَقـود إلى ما قادَتْهم إليه من نتائج. بـل إنَّ هذا المنهج افتقرَ على أيدي المستشرقين إلى الدِّقة في جَمعِ القَرائن فضلاً عن تبويبها، وهذا أدَّى بدوره إلى خطورة النَّتائج المُستخلَصة وعدم ثُبوتها أمام ميزان النَّقد.

الفصل الثاني:
نقد غايات الاستشراق اليهودي المعاصر

أولًا: نقد الغاية العقدية

يُعـدُّ موقفُ المسـتشرقين من القَصص القرآني، سـواء في الاسـتشراق القديـم أو الاسـتشراق المعاصر، موقفًـا مُتربِّصًا إلى حدٍّ كبـير، تَبدو فيه النَّزعـةُ التعصُّبيـة اليَهوديـة، والنَّزعـةُ الانتقامية، وكلُّها لا تمـتُّ للبحث العلمي أو المنهجية العلمية بصِلة. ومن ثَمَّ يقول أحدُ الباحثين عن موقف المسـتشرقين من القَصص القـرآني مثلًا: "واعتمادًا منهـم على مناهجهم التأريخية أو المقارنة، أو غيرها، فقد عَزَوا ذلك بسـبب هذا التَّشـابه الكبير في القَصـص بين التَّـوراة والإنجيل إلى أنَّ القرآن مـن تأليف النبيِّ محمد (ص)، وأن معلوماتـه في هـذا القَصص مُسـتوحاةٌ من أخبـار الديانتَين: اليَهوديـة والنّصرانية، أو منقولة عنهما من نحـو: قِصص الطُّوفان والخَلق وخُروج النبيِّ موسى من مصر وقِصّة النبيِّ يوسـف، وغيرها من القِصص الأخرى التي ضمَّتْها الكُتُب المُقدَّسة المذكورة"[1].

إذنْ فأوَّلُ ما يظهر لنا -في موقف المسـتشرقين من النصِّ القرآني- الجورُ وعدم الإنصاف، وهذا يُؤدِّي إلى فسـاد النتائج المُسـتخلَصة بالأسـاس.

---

١ - عادل عباس النصراوي: "محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين"، ص.ص. ٣، ٤.

لأنَّهم تَعاملوا معَه على أنَّه كلام غيرُ إلهيٍّ، وإنَّما عَدُّوهُ مُنتَجًا بشريًّا، فقد تَعاملوا معه -كما يُؤكِّد أحدُ الباحثين- على طريقة اللاهوت الطَّبيعي، وفرقٌ كبير بين اللاهوت الطبيعي والقرآن الكريم، ذلك أنَّ "اللاهوت الطبيعي هو قراءة كتاب الطبيعة، وليس كتاب الوحي الذي نَعرِفُ به اللهَ"[1]. وأصحابُ اللاهوت الطبيعي هم أولئك الذين يَزعمون أن معرفة الله لا يُمكن أنْ تكتسَب إلا من خلال الطَّبيعة، ومن ثَمَّ استبعدوا الكتبَ السَّماويّةَ في معرفتهم المَزعومة، مُعتمدينَ على العقل وتَجاربهم العادية، بدَعوى أنَّ الطبيعة تكشف لنا عمّا نَحتاجُه من معرفة الله تعالى، وهذا قادَهُم إلى التَّعامُل مع الكُتب المُقدَّسة، ومنها القرآن الكريم، وكأنَّها لا تَختلف عن أيِّ كتاب بشري، فحدَثَ ما حدَثَ من جور وعَدمِ إنصاف.

إنَّ الدراسات الاستشراقية الغربية المعاصرة، وبالخصوص الاستشراق اليهودي ورَبيبه الاستشراق الإسرائيلي، أخذ في توجيه الاهتمام ناحية القَصص القرآني، نتيجةَ التَّشابُه القائم بينَه وبين قَصص التَّوراة والإنجيل، وهو الأمر الذي يَرى أحدُ الباحثين أنَّ له خَلفيّةً تتعلَّق بكتابات الاستشراق اليهودي حول هذه القضية، والتي يَراها الباحث أنَّها تطوَّرَت حديثًا، وأصبحَت تُطرح في إطار دراسة ما بات يُعرَف في الاستشراق الإسرائيلي بقصص الأنبياء المشتركين بين اليهودية والإسلام، أو المشتركات

1 - Robert G. Morrison: “Natural Theology and the Qur'an”, p. 1.

بين اليهودية والإسلام، وكذلك فيما يتعلَّق بالحوار الدِّيني بين الإسلام واليَهودية من جانب، وبين الأديان التَّوحيدية السَّماوية الثَّلاثة من جانب ثان[١].

وقد تعدَّدَت مواقفُ المستشرقين وألوان النَّقد التي وجَّهوها للنَّص القرآني، وهي كلُّها مواقفُ مَبنيّةٌ على أرضيّة واحدة، وهي أنَّ القرآن بزَعمهم صناعةٌ بشرية مُحمَّدية، وسوف نقفُ على مزاعم هؤلاء في السُّطور القادمة.

ويمُكن القولُ إنَّ القراءة الدِّينية العقدية من أشدِّ القراءات التي يَنطلق منها الاستشراقُ القديم والمعاصر في الغالب، لأنَّ النَّظرة إلى الإسلام على أنَّه دينٌ من صُنع محمد لا زالَت تَستحوذ على العقلية الاستشراقية، نتيجة الهدف الدِّيني الذي تَسعى إليه، وهو الإعلاء من اليهودية أو المسيحية، حسب العقيدة التي يَنتمي إليها كلُّ مستشرق.

وهذا ما نجدُه في الاستشراق اليَهودي، ومن بعده الاستشراق الإسرائيلي المعاصر، يَقول أحدُ الباحثين: "والهدفُ الأوَّلُ من وراء الاستشراق اليهودي هو هدفٌ دينيٌّ بحتٌ، لا ريبَ فيه على الإطلاق، ويتمثَّل في محاولة إضعاف الإسلام وتَشويهه والتَّشكيك في قِيَمِه، عن طريق إثبات

١ - أحمد البهنسي: الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (٢/١).

فضل اليَهودية عليه، والزَّعم بأنَّ اليهودية هي مصدر الإسلام الأوَّل"[١].

ويمُكنُنا القولُ إنَّ الآراء اليهودية المُنبثقة من القراءة العقدية كان لها نفوذُها في الحركة الاستشراقية قاطبةً، بل لقد تحكَّمَت في الذِّهنية الاستشراقية إلى وقتنا الحاضر، فالفكرة المُسيطِرة على الذِّهنية الاستشراقية، فيما يتعلَّق بالقرآن وشخصية النبي محمد، صنعتها أقلامُ الاستشراق اليهودي، وشاركت في ذيوعها ونَشرها، إلى أن وصلَت إلى الاستشراق المعاصر، وهي الفكرة التي تقوم على تأثُّر النبي محمد باليَهود في عصره، واقتباس القرآن والقَصص القرآني خاصة من التَّوراة. والغريبُ في الأمر أنَّ تلك المزاعم تمَّ ترديدها منذ بداية البعثة المحمدية، ورَدَّ عليها القرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

وقد ذهب بعضُ الباحثين إلى أن (روبين) كشف في ترجمته لمعاني القرآن الكريم عن دوافع جدليّة ودينية، إضافة إلى دوافع أخرى حَرَّكَتْه نحو ترجمته، بدليل أنَّها تقوم على محاولة الطَّعن في القرآن ذاته، والادِّعاء بأنَّه ليس من مصدرٍ إلهيٍّ، وأنَّه صناعة بشرية، وعمد في مُقدِّمته إلى استخدام الفعل العبري יצר (يتسار) بمعنى أنتجَ الشَّيءَ أو صنعَه بيدَيه ونَسبَه إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، للإيماء بأنَّ القرآن الكريم من صُنع يديه، وفعل ذلك رغم وجود كلمة הקראה التي تَعني (الوحي). واستند

١ - محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص٨٤.

(روبـين) في زعمه هذا على ما يدَّعيه بعضُ الباحثـين اليهود من أن القرآن الكريم ليس مُنَزَّلاً من الله إلى رسوله الكريم، بل إنَّه كُتِبَ أو أُلِّف (استخدم المترجم الفعل العبري المشـتق من مادة כתב كُتب) خارج الجزيرة العربية بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بسنوات طويلة[١].

هذا فضلاً عن أنَّه قد مهَّد لادِّعائه هذا في كتاب له صدر قبل عدة سنوات تحت عنوان התנ"ך והקוראן (التناخ والقرآن)، أي: العهد القديم والقرآن، حين ذهـب إلى أنَّ القرآن ركَّزَ على قضية اختيـار الله لبني إسرائيل؛ حتى يُؤكِّدَ على أنَّ هؤلاء أخَلُّوا بالتزاماتهم تجاهَ الله، وبسبب ذلك حكم عليهم بالتشـتُّت، وأنَّ القرآن يحاول إثباتَ ذلك بالإكثار من الإشارة إلى القِصص الـواردة في العهـد القديم، وتتحدَّث عن الآثام التـي ارتكبها بنو إسرائيل، وهم في طريق خروجهم من مصر إلى الأرض الموعودة[٢].

ونحـن نعتقد أنَّ تلـك القـراءة ذاتَ النَّزعة العقدية تَنطلـق أولاً لإثبات مجموعة من المعلومات السـابقة التي يُحاول فيها الباحثُ تأكيدَها بشتَّى السُّـبُل -دون مُراعاة لأدبيّات ومُنطلَقات وأُسُـس المناهـج العلمية- من أجل تمَرير قراءته الدِّينية، ومحاولةِ إجبار الآخر على الانصياع لها، وكسب

١ - انظـر: محمـد محمود أبـو غدير: "ترجمـة أوري روبين لمعاني القـرآن الكريم بالعبرية".

٢ - انظـر: محمـد محمود أبـو غدير: "ترجمـة أوري روبين لمعاني القـرآن الكريم بالعبرية".

تعاطُف وتأييد أتباع تلك العقيدة التي يَنتسب إليها.

ومن ثَمَّ فإنَّنا نعتقد أنَّ القراءة العقدية للاستشراق قراءة عبثية، تُعدُّ نتيجةً منطقية لتلك القراءات المُتحيِّزة ضدَّ الإسلام، والتي بَنى عليها الاستشراقُ القديم أركانَه، لأسباب تتعلَّق به وحدَه، وهذا هو السبب الجوهريُّ في كونه لم يصِلْ في الماضي إلى فَهمٍ جيِّد للإسلام كدين وحضارة، كما أنَّه لن يتمكَّن من الوصول إلى هذا الفَهم في الحاضر والمستقبل، ما دامَتْ تُسيطِرُ على عقل المستشرق ووجدانه عواملُ التحيُّز المختلفة، ومن ثَمَّ فلا أملَ في إصلاح الحال ما دام الاستشراقُ يستمرُّ على حاله، وتتحكَّم فيه دوافعُه وأهدافه غير العلمية[1].

١ - نقد الغاية العقدية عند (أوري روبين)

ويمُكن القولُ إنَّ الغاية العقديّة تَبرُزُ بوضوح في ترجمات المستشرقين، خاصّةً عند (أوري روبين)، المستشرق اليهودي المعاصر، فهي ترجمةٌ تَرى في القرآن كتابًا يُنازعُ عقائدَهم، وقد كانت هذه الفكرة مُتغلغلةً في أعماق (روبين)، وهو بصدد التَّرجمة، ومن ثمَّ حاول في ترجمته الإيحاءَ ببشريّة المصدر القرآنيّ، وأنَّه من صُنْع سيدنا محمّد، وهذا يُفسِّر لنا العديد من الملاحظات التي وقع فيها أثناء هذه الترجمة.

---

١ - محمَّد خليفة حسن: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص.ص. ٢٧٦، ٢٧٧.

وهــذه الغايــة تفسِّر وقوفَه عند عــدد من الألفــاظ أو الجمل في الآيات القرآنيّة، وتفسـيرها بما يتناسـب مع ما جاء في العهد القديم مثلاً، فترجمةُ الآية في ضوء فَهم المُترجِم لآيات العهد القديم أو الجديد، وتَفسير معانيها في ضوئه، تمُثِّل أَوضحَ المظاهر على تغلغُل الغاية الدِّينيّة في هذه التَّرجمة. وإهمال المُترجِم التفاسيرَ الإسلاميّة، والبحث عن مُبتغاه في كتابه العقديّ الذي يُؤمن به، دليلٌ على هذه الغاية وأثَرٌ من آثارها.

كــما تَظهر هذه الغاية في التعصُّب لكلِّ ما هو عقديٌّ يُمثِّلُه، والتعصُّب ضدَّ الإسلام في كثير من القضايا، فقد كانت النَّظرة إلى أنَّ الإسلام دينٌ جاء لِيَمحوَ الأديان الأخرى السابقة عليه تتحكَّم في بعض توجُّهاته أثناء عمليّة التَّرجمة.

يَعــترف (أوري روبين) في مقدِّمته بأنَّ ترجمتَــه لن تَصِلَ إلى حدِّ المصداقيّة الكاملــة، وأنَّ هدفَه الذي يَصبو إليه هو أن تَحظى ترجمتُه بالثِّقة[1]. وهذا -في الحقيقــة- يتضمَّــن اعترافًا منه بأنَّ ترجمتَه ناقصة، وهــذا يَعود في ظنِّنا إلى أنَّ ألفاظ القرآن تبلغُ درجةً من الدقّة والبلاغة بحيث لا تستطيع أيُّ ترجمة أن تَفِيَها حقَّها من الدلالة، أو أنْ تَنقل صُوَرَ اللَّفظ والجمل بالدقّة والبلاغة نفسها. حتّى مع القول بأنَّ ترجمة (روبين) ترجمةٌ تَفسيريّة تُحاول أن تَنقل التَّفسيرَ لا الدلالةَ الحرفيّة، فإنَّها تظلُّ في النِّهاية ترجمةً لا تُعبِّر عن مضمون النصِّ القرآنيّ.

---

١ - مقدمــة روبين لترجمة معاني القرآن الكريــم، ص ١٣. نقلاً عن: محمد محمود أبو غدير: ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية (عرض وتقويم)، ص ١١.

وهـذا يَعنـي أنَّ لغة القرآن هنا تتعـرَّض للتَّجنِّي، كون المُترجم -سـواء أكان روبين أو غيره- لا يَسـتطيع الوفاءَ بمتطلَّبات ترجمة هذه اللُّغة، ونقل بلاغتهـا وبيانهـا كما هو في لغة القـرآن العربيَّة الأصليّة، ولا شـكَّ في أنَّ اتِّسـاع هذه اللُّغة وكثرة دروبها التي تدلُّ على قوَّتها ليست أمرًا مشاعًا لكلِّ وارد، ومـن ثَمَّ يجد المُترجـمُ صعوبةً في الوفاء بمُتطلَّباتهـا، ومن ثَمَّ فإنَّ تَجنِّـى التَّرجمة على لغة القرآن يَحمل جانبَـينِ: الأوّل اللُّغة ذاتها، والثاني شخصيّة المُترجِم ذاته وقلّة حيلته تجاهها.

وفي ذلـك يقول أحدُ الباحثين: "وفي محاولةٍ منـه للتغلُّب على مُعضِلة عجزِ اللُّغة العبريّة عن استيعاب النصِّ القرآنيّ، وعن تَوفير الألفاظ العِبريّة القادرة على التَّعبير عن العديد من معانيه، عمل -كما ذكر الدكتور (يوسف سـدان)- على بلورة رداءٍ لُغـويٍّ عبريٍّ يُوازن عن طريقـه بين الحاجة إلى اسـتخدام لغة عِبريّة تُناسـب القارئ المعاصر وبـينَ الحاجة إلى الحفاظ على قدرٍ من روح النصِّ القرآنيّ المقدَّس، ثمَّ وجد نفسَه في نهاية المطاف يَسـتخدِم أسلوبًا يَبتعد عن رونق البلاغة القرآنيّة، ويَلتزم بصورة أكبر بصيغٍ تتمشَّى مع اللُّغة العبريّة العصريّة السـائدة لـدى المتلقّي ... أي أنَّ حاجةَ المُتلقّـي إلى من يُخاطبه بمسـتوًى أسـلوبيٍّ مُعيَّن، هو الـذي أملى على المُترجِـم اختيارَ النَّهج الذي سـلكه في ترجمته، ممّا أدَّى إلى الابتعاد عن بلاغة النصِّ القرآنيّ وسـحر بيانه. ويُصبح القول البيِّن في هذه القضيّة هو أنَّ روبين أراد أن يُثبت أنَّ اللغة العبريّة قادرة على استيعاب المَفاهيم الثَّريّة

لمعاني القرآن الكريم، وأنَّها – أي العبريّة – ليست مُهدَّدةً بالزَّوال."[1].

ويمُكن القولُ إنَّنا سوف نقرأ ترجمتَه بصورة نقديّة من جانبَين فقط لهما علاقة بلغة القرآن من خلال ترجمته لمعاني القرآن الكريم وهما:

- جانب التَّرجمة المتعلِّقة باللَّفظة الواحدة.
- جانب التَّرجمة المتعلِّقة بالنصِّ ككلّ.

أ - ترجمة روبين لألفاظ القرآن

تمُثِّل ترجمةُ (روبين) لألفاظ القرآن تَعدِّيًا على لغة القرآن في علاقتها بالمعنى الفَصيح؛ حيث ترجمَ بعضَ الألفاظ ترجمةً لا تتعلَّق بالمعنى المُراد لها في القرآن، إمّا جهلاً باللغة العربيَّة، وإمّا تمريرًا لقضيّة دينيّة أو سياسيّة يَقصدها، وقد استخرج بعضُ الدَّارسين العديدَ من الأخطاء المتعلِّقة بهذا الجانب، منها:

لفظ "المائدة": ورد في سورة المائدة قول الله -تعالى-: ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ١١٢]، وقوله -سبحانه-: ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [المائدة: ١١٤].

---

١ - انظر: محمد محمود أبو غدير: "ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية"، ص.ص. ١١-١٢.

المستشرقُ المعاصر (أوري روبين) استخدم في ترجمة اللَّفظ معنًى مُخالِفًا لما هو عليه في الآية الكريمة؛ حيث استخدمه بمعنى المائدة المُعَدّة الجاهزة، وهذا المَعنى له دلالات أخرى عند اليهود، ومن ثَمَّ يقول أحدُ الباحثين: "أمّا (روبين) فاختار مُقابلاً لكلمة المائدة مُصطلَحًا دينيًّا معروفًا في الكتابات الدينيّة اليهوديّة وهو: 'شولحان عاروخ'، والمعنى الحرفيّ لـ 'شولحان عاروخ' هو (المائدة المُعَدّة أو الجاهزة)، ولكن حدثَ أن تقمَّص هذا المصطلح بُعدًا دينيًّا خاصًّا باليهود فقط، حيث أطلقَه الحاخام اليهودي (يوسف كارو) في عام ١٥٦٥م اسمًا على كتاب له وضعه في حينه، وجمع فيه جميعَ الفرائض والفتاوى الدِّينية اليهودية، وعند ذكر هذا المصطلح بين اليهود يكون المقصود به هو كتاب (يوسف كارو)"[١].

ولكنْ لماذا أطلقَ (روبين) لنفسه العنان لترجمة لفظ المائدة على هذا المعنى؟! هل الأمر يتعلَّق بعنوان كتاب (يوسف كارو)؟! أم يتعلَّق بمضمون هذا الكتاب؟! إنَّنا نعتقد طبقًا للسِّياق العام المتعلِّق بفهمنا للشخصيّة اليهوديّة، وخصوصًا فيما يتعلَّق بنواياها الاستشراقيّة، أنَّ (روبين) يحاول من طرف خفيٍّ أن يُشير إلى مضمون الكتاب، ليَكون ضمن النَّسيج العام لفكرته حول اقتباس القرآن من التَّوراة، فهو يَستغلُّ ترجمةَ اللَّفظ على هذا

١ - انظر: محمد محمود أبو غدير: "ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية"، ص ١٩.

النحو ليُشيرَ إلى شبهات مُتعلِّقة بعلاقة القرآن بالتَّوراة اليهوديّة. ومن ثَمَّ فبما أنَّ كتاب (كارو) يتضمَّن الفتاوى والفرائض اليهوديّة، فما المانع من أنْ يُلْبِسَ على اليَهود الذين ترجم لهم معاني القرآن ويُوحي لهم بأنَّ المائدة في القرآن هي جملة الفرائض والفتاوى اليهودية التي أخذَها محمد من اليهودية وضمَّنها كتابَه المُسمَّى بالقرآن!! فكرة خبيثة في رأيي، ولا تُنتَجُ إلاّ من عقليّة متعصِّبة لعقيدتها، ضاربة عرض الحائط بكلِّ الأعراف العلميّة والطُّرق المنهجيّة.

وترجمتُه هنا تمُثِّل نوعًا من الاعتداء على لغة القرآن، بل يُمكن أن تُعدَّ من قبيل التَّزوير اللُّغويّ؛ لأنَّه نقلَ عمدًا صورة مغايرة للَّفظ عمّا هو موجود في لغته الأصلية أو لغة النصّ القرآنيّ، لأهداف دينيّة هدفُها إشعار الأنا بفوقيّة واستعلائيّة على أتباع النصِّ المُترجَم، باعتباره في ظنِّه نصًّا مَسروقًا منها أو على أقلِّ تقدير مُقتبَسًا من نصوصها.

كما أنَّ ترجمة المستشرق (روبين) هنا تَقضي على البلاغة التي تَقوم عليها لفظةُ "المائدة"؛ إذ المقصود هنا الطَّعام، إذ المائدة تَعني الطَّعامَ الموجود في مكانه المُعدِّ للأكل، ولا تُسمَّى المائدةُ مائدةً إلا إذا كان عليها طعام، فالوجه البلاغي إذنْ يَقود إلى أنَّ الحواريِّين طلبوا طعامًا؛ لأنَّ الطَّعامَ يُسمَّى مائدة على الجِوار، لأنَّه يُؤكَلُ عليها. هذا الوجهُ البلاغيُّ نفتقدُه في ترجمة (روبين) الذي جعل المَعنى مُنصبًّا على المائدة لا الطعام.

لفظ "فاطر": ورد في عدّة سور، لكنَّنا سنقف هنا عند وُروده في سورة

فاطر؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر: ١].

المستشرق (أوري روبين) لجأ في ترجمته لهذا اللَّفظ إلى معنًى بعيدٍ، في الوقت الذي كان لديه أن يَستعين بالمُقابل العِبريِّ المباشر، إذ "رغم وجود المُقابل العبريّ المباشر لكلمة فاطر، وهو 'بوريه' بالعبريّة، أي الخالق أو المُبدِع للكون، وهي كلمة وردَت في الإصحاح الأول من سفر التكوين عن خلق الله للكون، فإنَّ (روبين) ترجمَ الكلمة إلى الكلمة العبريّة: 'هايوتسير' بمعنى المُنتِج للشَّيء الماديّ أو الفنيّ، ولا تَصلح لخلق الكون والبشر."[1]. ولا شكَّ في أنَّ بينَ المَعنيَيْن بونًا شاسعًا. لكنَّا لا نستغرب من موقف (روبين) هذا، لا لشيء إلّا لكونه امتدادًا طبيعيًّا لتصوُّر العَقليّة اليهوديّة للإله، ونظرتها إليه نظرةً مادية بحتة، تتأسَّس على تحقيق أطماع بني إسرائيل في الأرض.

إنَّ الإله في تصوُّر هذه العقليّة قريبٌ في صفاته من البشر، فمَسكنُه في الأرض وليس في السماء أو في أيِّ جانب غيبيٍّ، ومفهوم اليوم الآخر محصور في الدُّنيا وعلى الأرض وليس مفهومًا غيبيًّا، والحياة اليهوديّة مبنيّة على امتلاك أرض كنعان كمقدِّمة لامتلاك الأرض وحُكمها، وجمع المال

١ - انظر: محمد محمود أبو غدير: "ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية"، ص.ص. ٢٠ - ٢١.

وامتلاك السلطة لتحقيق ذلك، والثَّواب والعقاب ماديٌّ وليس معنويًّا، ويرتبط بتحقيق طموحات إسرائيل أو عدمها في العقاب[١]. فليس من المتوقَّع إذن من شخصيّة يهوديّة حتَّى النخاع كـ (أوري روبين) أن يكون تصوُّره عن الإله مغايرًا للتصوُّر اليهوديِّ العامّ، وليس غريبًا أن يَنطبع هذا التصوُّر في فهمه لمفهوم "فاطر"، لكنَّ الغريب في الأمر أن يَسير بالنصِّ القرآنيّ إلى محاولة تصوُّر ماديّ للإله بعيدٍ كلَّ البُعد عن الإسلام، قريبٍ كلَّ القرب من اليهوديّة، في صورة تَشي بنوعٍ من التَّلبيس على القارئ اليهوديِّ ذاته.

ليس هذا فحسب بل إنَّه باجتماع المكوِّنات المعرفيّة للعَقليّة اليهوديّة، التي كتبَتِ التَّوراةَ في التاريخ اليهوديِّ، وانعكاسات مراحل هذا التاريخ وآلامه وخيباته وتناقضاته، بالإضافة إلى نفسيّة اليهود الطَّامعة بلا حدود حسب أحد الباحثين، فنجد تصوُّر اليهود للإله هو تصوُّرٌ وظيفيٌّ مقاصديٌّ ماديٌّ يخدم مصالح الشعب اليهوديّ فحسب، وليس تصوُّرًا يخدم قضيّة الإيمان بالإله وكيفياتها، وإنَّما هو دور يَخدم قضيّة إيمان اليهود بأنفسهم وبطموحاتهم في هذه الأرض[٢]. وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ التكوين المعرفيَّ لليهود -بمن فيهم (روبين)- يُؤمن بتصوُّر ماديٍّ للإله، ومن ثَمَّ عمد هذا

١ - انظر: علاء هيلات؛ ومحمد الجمل: الدور الوظيفي المادي في تصور اليهود للإله من خلال سفر التكوين، دراس تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم، ص٢٣٨.

٢ - انظر: علاء هيلات؛ ومحمد الجمل: الدور الوظيفي المادي في تصور اليهود للإله من خلال سفر التكوين، دراس تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم، ص٢٣٨.

المستشرق إلى محاولة إلصاقه للقرآن، ونزع التصوُّر القرآنيّ الصحيح عنه، للإيحاء باقتباس القرآن هذا المفهوم من التَّوراة، هذا الإيحاء الذي يتماشى مع تصوُّرهم للإسلام في أنَّه اقتباس يهوديٌّ بصناعة محمّديّة.

لفظ "فضّلتُكم": يقول الله تعالى: ﴿**... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة:١٢٢]. وقد ترجَم المستشرق أوري روبين "فضَّلتُكم" ترجمةً أفضَت إلى معنًى غيرِ المعنى المراد في القرآن، فـ (روبين) لم يأخذ بعين الاعتبار في ترجمته أنَّ هذا الفعل فعلٌ ماضٍ، إذ لم يكن اليهود موضعَ تفضيل على العالمين عندما نزل القرآن على نبيِّنا الكريم، فالآية جاءت في سياق الذَّم والتَّوبيخ لليهود من الناحية البلاغية؛ لأنَّهم كذَّبوا بسيدنا محمد، على الرغم ممّا أنعم الله تعالى به عليهم من نِعَمٍ في السابق، "من خلال ما سبق يتبيَّن لنا أنَّ اختيار (روبين) في ترجمته استخدام المصدر: "رَفعي إيّاكم" بمعنى تَفضيلي إيّاكم، بدلاً من صيغة الماضي: "رفعتُكم" ليس مُوفَّقًا؛ لأنَّه لا يخدم المعنى بدقّة؛ إذ إنَّ التَّفضيل في الماضي وليس الآن. ونُجمل النِّقاشَ في هذه الآية بنتيجة مُؤدّاها أنَّ (روبين) يُكثر من استعمال صِيَغِ الفعل الماضي بدلاً من المضارع، وهو أسلوب متَّبَعٌ في ترجمته كلِّها، ويَهدف (روبين) من خلال هذا الأسلوب إلى الوصول إلى القارئ العاديِّ المعاصر للعبريّة"[١]. لكن وعلى

١ - انظر: ناصر الدين أبو خضير: "ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا"، ص.ص. ٩٣، ٩٤.

الرغم من وجاهة هذا الرَّأي الذي انتهى إليه مُتقنو اللُّغة العبريّة من الدارسين العرب -إذ لا يُمكن منازعتهم فيه لإتقانهم هذه اللُّغة ودروبها- إلاّ أنَّ ترجمة (روبين) هنا تقودنا إلى تساؤل لا يُمكن تجاهلُه، وهو أنَّه إذا كان (روبين) يُكثر من استخدام الفعل الماضي بهدف الوصول إلى القاعدة العريضة من اليهود المعاصرين، فلماذا لم يَلتزم بقاعدته هذه فيما يتعلَّق بالفعل الماضي "فضَّلتُكم" وخالفها إلى المصدر، رغم أنَّ السِّياق حقُّه الماضي بالفعل؟! إنَّنا نعتقد أنَّ هذا البُعد العقديّ هو الذي دَعاه إلى التخلِّي عن هذا الأمر؛ لأنَّ التزامه بترجمة السياق القرآني بدقّة سوف يُناقض عقيدة "شعب الله المختار" التي يتغنَّى بها اليهود، فليس من المقبول في العقيدة اليهوديّة أن يَقول لهم إنَّ الله تعالى كان قد فضَّلَهم في السابق، وإنَّما اختار صيغة المصدر المُبهَمة التي لا تَشي بزمن، وهذا هو المطلوب بالنسبة إليه. وهذا يُعدُّ في نظرنا تلبيسًا على القارئ من جانب، وعلى عدم الأمانة العلمية من جانب ثان، هذا التَّلبيس وعدميّة الأمانة هما اللَّذان قادا (روبين) إلى التغوُّل على اللغة العربيَّة، وتَحميلها معانيَ ليست لها، يَرفضها السِّياق، وتَرفضها اللُّغةُ العربيَّة ذاتُها.

كلمة "استوى": في قول الله تعالى: ﴿**... ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ...**﴾ [البقرة: ٢٩]، ترجم المستشرق (أوري روبين) "استوى" بمعنى حلَّقَ في السَّماء[1]. وهذه الترجمة فيها تشويه للغة القرآن من جانب، ولمضمون

١ - انظر: ناصر الدين أبو خضير: "ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا"، ص٩٦.

الصِّفات الإلهيّة في القرآن من جانب آخر، كونها تَقوم على عوارٍ واضحٍ في فهم اللُّغة من جانب، وعوارٍ في فهم أصول العقيدة الإسلاميّة من جانبٍ ثانٍ، ويمُكن بيان هذا العوار في الآتي:

ج. ترجمة روبين تحمل تجسيمًا وتشبيهًا للذات الإلهيّة، وهذا لا يَليق بها؛ لأنَّ ترجمة الفعل "استوى" بمعنى حلَّقَ فيه تجسيم للذات الإلهيّة، وقياس لعالم الغيب على عالم الشهادة.

د. مخالفة (روبين) بهذه الترجمة لما أجمع عليه المسلمون من نَفي التَّشبيه والتجسيم عن الذات الإلهيّة، وهو مذهب المُحقِّقين من علماء المسلمين.

ه. ترجمة (روبين) هنا لا تتَّفق مطلقًا مع أيٍّ من التفاسير الأربعة المعتمدة عنده، بل تُخالِف كلَّ التَّفاسير، دون استثناء، مخالفةً صريحة.

إنَّنا بصدد قضيّة الاستواء على العرش خاصّة، والصِّفات الإلهيّة في القرآن عامّة، أمام ثلاثة آراء: الأوّل، الإيمان بالصِّفات والتمسُّك بها في القرآن دون تكييف أو تشبيه أو تجسيم أو تعطيل، والثاني، تأويل الآيات بما يُنزِّه الذاتَ الإلهيّة وفق مقتضيات اللغة العربيَّة، والثالث، التمسُّك بظاهر النصّ، وتشبيه الصِّفات الإلهيّة بصفات الإنسان.

وقد اختار (روبين) أن يكون في صفِّ المُشبِّهة المَرفوض مذهبهم إسلاميًّا، فصار على المَوقف الثالث؛ حيث تمسَّك بظاهر الاستواء، وتشبيه

هـذه الصفة الإلهيّة بصفة البشر، فقال بالتَّحليق، وهذا لا يَليق بالله، وإنَّما يَليق بالبشر، في الوقت الذي التزمت فيها التَّفاسير الأربعة التي جعل منها مرجعًا له موقفَ التأويل، تأويل الاستواء على أنَّه صعود أمره إلى السَّماء، أو قصد إليها بإرادته، أو تَوجَّهَت إرادته، أو أقبل إلى خلق السَّماء[١].

لكنَّنا نرى أنَّ النَّظرة الماديّة للإله في العقيدة اليهوديّة هي التي أدَّت بـ (روبين) إلى هذه الترجمة، فهو نتاج هذه العقيدة، وآراؤه في ترجمة القرآن تعدُّ تأثيراً واضحًا من تأثيراتها فيه، ومن ثَمَّ فهو لم يستطع أن يَحيد عما رسمَتْه له عقيدتُه، لكن كان عليه أن يكون أمينًا، وأن ينقل المعنى الحقيقيَّ الموجود في التفاسير الإسلاميّة، التي اتَّخذ من أربعة منها مرجعًا له باعترافه، لكنَّه لم يُعِرْها في رأيي اهتمامًا يُذكر، ولم يَستنزِلْ بها كثيراً في ترجمته.

ومن ثمَّ فإنَّ ترجمة الألفاظ المُفردة التي قام بها (روبين) في ترجمته للقرآن كان يَشوبها كثيرٌ من الأخطاء التي حدثَت عن عَمد أو عن جهل باللغة العربيَّة، لكنَّنا نُرجِّح فرضيّة العَمد، خاصّة أنَّ هناك العديد من ترجمات الألفاظ التي قام بها تَبِعَ فيها (روبين) عقيدتَه، أو أثَّرَت عقيدتُه

---

١ - انظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص٤٩. & انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٦٦. & انظر: جلال الدين السيوطي؛ وجلال الدين المحلي: تفسير الجلالين، ص٨. & انظر السمرقندي: بحر العلوم، ج١، ص٣٩.

فيه في ترجمته لها، بصورة نقلَتْها من كونها ترجمة جيّدة إلى كونها ترجمة مُزيَّفة تُؤسِّس لصراع بين الأديان، وليس إلى إقامة أُطر حضاريّة بينها.

ب - الترجمة التفسيريّة المتعلّقة بالنصّ

ونقصد بهذه الترجمة تلك التَّعليقات والهوامش التي ذيَّلَ بها (أوري روبين) الهوامش والحواشي والتعليقات على ترجمته لألفاظ القرآن الكريم، وهذه التَّرجمة التَّفسيرية لا تقوم على ترجمة ألفاظ النصِّ بقدر ما تقوم على تفسير النصِّ وفق بُعدٍ عقديّ/أيديولوجيّ تمسَّك به (روبين).

كما نقصد بها تلك التَّرجمة التي حاول فيها (روبين) أن يُفسِّر النصَّ ولغتَه بانتزاعهما من سياقهما، ووضعِهما في سياقٍ آخر مُغاير ظهرَ فيه بُعدٌ عقديٌّ / أيديولوجيٌّ أيضًا، ضاربًا عرض الحائط بقواعد اللُّغة والبلاغة، فلكي يصبغ (روبين) النصَّ بصبغة توراتيّة حاول أن يُقدِّم القرآن على أنَّه اقتباس محمّديّ من التَّوراة، في صورة تكشف عن الأغراض الحقيقيّة التي ساق من خلالها هذه التَّرجمة المُحرَّفة في ظنّي. ويمُكن النَّظر إلى هذه التَّرجمة على أنَّها "شرح الكلام وتوضيحه وبيان معناه بلغة أخرى دون رعاية لترتيب الأصل ونظمه، ومن غير الحفاظ على جميع المعاني المُرادة منه"[١].

ويمُكن أن نمثِّل لهذه الترجمة التفسيريّة بمجموعة من النَّماذج الدالّة

١ - شاكر عالم شوق: ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها، ص٦٠.

على ذلك، من خلال ما طرحه روبين من شروحات أو تعليقات على بعض الآيات القرآنية، وهي:

قول الله تعالى: ﴿**... إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ...**﴾ [البقرة: ٦٩]، حيث علَّقَ (أوري روبين) على هذه الآية في الحاشية بأنَّ: "الآية صدًى لنصٍّ في التَّوراة يتحدَّث عن أحكام البقرة الحمراء التي يُضحَّى بها في عيد الفصح."[١]. وهذا يمُثِّل انحرافًا واضحًا عن لغة النصّ القرآنيّ. فمَن قال إنَّ صفراء تَعني في اليهوديّة حمراء؟ ألا يَعني هذا انحرافًا في التَّرجمة وقصورًا في التفسير؟! بل ألا يدلُّ ذلك على أنَّ المُترجِمَ في ترجمته التَّفسيريّة يَقوم بلَيِّ عنق النصِّ القرآنيّ في لغته الواضحة لتَمرير أيديولوجيّة عقديّة معيَّنة؟

ويتأكَّد هذا كلُّه عند تفسيره لقول الله -تعالى-: ﴿**... مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا ...**﴾ [البقرة: ٧١]، حيث تَرجمها بمعنى: «بقرة حمراء خالية من العيوب، وهذه التَّرجمة لا تمُثِّل النصَّ القرآنيّ تمامًا؛ لأنَّها تَخلو من الجملة: لا شِيةَ فيها، التي تركَها المترجم، مُتصرِّفًا وفق ما يشاء، في نقل نصٍّ دينيٍّ"[٢]. وموقفه هنا يَشي بأمرين:

- الأوّل، موافقتـه لعقيدتـه أو لِنَقُـلْ تَغليبه لعقيدتـه على المنهج

---

١ - انظـر: نـاصر الدين أبو خضير: ترجـمات القرآن الكريـم إلى العبرية .. ترجمة روبين نموذجًا، ص.ص. ٨٤، ٨٥.

٢ - انظر ناصر الدين أبو خضير، ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص٨٥.

العلميِّ والأمانة العلميّـة في التَّرجمة؛ حيث يتصرَّف في النصِّ حسبما تُوجِّهُه عقيدتُه اليهوديّة.

- الثاني، مخالفتُه للتَّفاسـير الأربعة المُعتمَدة لديه. فهذه التَّفاسـير فسَّرَت "مُسلَّمةً لا شِيَةَ فيها" بأنَّ لونَها أصفَرُ لا يُخالطُه لونٌ آخَرُ[1]. وهذا يَعني أنَّ هناك مخالفة صريحة من (روبين) لهذه التفاسير.

قول الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ...**﴾ [البقرة: ١٢٨]. كلمة (مسلمين) في هذه الآية يُراد بها الإخلاصُ والاستسلام لله تعالى في التَّفاسير التي استند إليها (روبين)[2]. لكن ما موقف هذا المستشرق في ترجمته لهذه الكلمة؟ يقول أحد الباحثين: "ولكنَّ اللافت أنَّه التزم بهذا التَّفسير الحرفيّ، ولم يَتركْها كما هي، ولكنْ بأحرف عبريّة، بمعنى اتِّباع الدِّين الإسلامي الذي جاء به محمّد عليه [وآله] الصلاة والسلام، وهو عكس ما فعلَه في ترجمة كلمة الأرض في سورة الإسراء، إذ استخدم

---

١ - انظر ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص٧٧. & انظر: البيضاوي: أنـوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٨٨. & انظر: جلال الدين السـيوطي؛ وجلال الديـن المحلي: تفسـير الجلالين، ص١٥. & انظر السـمرقندي: بحـر العلوم، ج١، ص٦٣.

٢ - انظـر: البيضاوي: أنوار التنزيـل وأسرار التأويل، ج١، ص١٠٦. & انظر: جلال الدين السيوطي؛ وجلال الدين المحلي: تفسير الجلالين، ص٢٧. & انظر السمرقندي: بحر العلوم، ج١، ص٩٣.

التَّخصيص، فاعتبرها أرض إسرائيل، أي أنَّه لا يتَّبع مَنهجيّة ثابتة في تفسيره، فقد يُترجِم المعنى بتصرُّف، وفقًا لإسقاطات آية في التَّوراة يَعرفها، وقد يَخرج عن هذا المَنهج فيُترجِمُ ترجمةً حرفيّة"[١]. وهذا يَعني أنَّ لغة القرآن الكريم خضعَت لأهواء وميول (روبين) العقديّة، بحيث أضحَت التَّرجمة من اللُّغة العربيَّة إلى اللُّغة العبريّة رهينةً لأفكار مُسبقة لدى المُترجِم، وهذا يَكفي لإثبات ما تعرَّضَت له هذه اللُّغة -مُمثَّلة في كلمات القرآن- من تَشويه وتحريف مُتعمَّدَين. لذا فإنَّ أيَّ قضيّة، وردت في القرآن، ولها علاقة ببني إسرائيل، فإنَّ (روبين) يتحكَّمُ في ترجمتها وفق ميوله العقديّة، وهذه المُيول لا يُتوقَّع منها إنصافٌ للغة القرآن، ولا للمضامين والتَّعاليم المتضمَّنة فيها. ومن ثَمَّ فهو "يرى أنَّ التَّوراة هي الأصلُ الذي اعتمدَ عليه القرآنُ الكريم، وأنَّ في القرآن تَحريفاتٍ هدفُها الإعلاءُ من شأن إسماعيل، مقابل إسحاق ويعقوب، بما يَخدم المسلمين في دعوتهم إلى دينهم. وهذا تجنٍّ عظيم يتولَّى فيه كِبْرُهُ (روبين)؛ إذ إنَّه يُشوِّه ترجمة معاني القرآن من جهة، ويَظلُّ محافظًا على منهج موحَّد طوال تفسيره، في اعتبار القرآن نقلاً غير أمين لما جاء في التَّوراة من جهة أخرى."[٢].

وهذا يعني أنَّ (روبين) آلى على نفسه في ترجمة كلمة "مسلمين" وغيرها

---

١ - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية .. ترجمة روبين نموذجًا، ص٨٧.

٢ - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص٨٧.

من كلمات القرآن ألاّ يَنقل أو يُترجمَ الكلمةَ بما هي عليه في محيطها اللُّغويّ والسياقيّ، وإنَّما نقلَها وترجمَها وهي مُحمَّلة بمعانٍ مغايرة ومضامين معكوسة، رجاءَ تشويه العقيدة الإسلاميّة، وإظهارها بمظهر المُقتبس من اليهوديّة، فالتَّوراة عنده هي الأصل والقرآن الفرع، وفي هذا الإطار خلع (روبين) عباءة المُترجم الأمين، ولبس عباءة الحبر الأمين لعقيدته فقط، ولذا فإنَّنا نعتقد أنَّ كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها (روبين)، وهو بصدد ترجمة معاني القرآن الكريم، كان نتيجة الولاء لعقيدته اليهوديّة.

قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...**﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وقد ترجمَ (روبين) "وذِلّةٌ في الحياة الدُّنيا" ترجمةً لا تتَّفق مع اللغة العربيَّة من أيِّ وجه من الوجوه؛ حيث "يُترجِم روبين 'وذلّة في الحياة الدنيا' ويُعقِّب في الحاشية، مستندًا إلى بعض الباحثين -دون ذكر المصدر- الذين يَرَونَ أنَّ الآية تُلمِّحُ إلى تدنيٍّ منزلة اليهود بوصفهم أهل ذِمّة تحت حُكم المسلمين."[1]. لكنَّ هذه الترَّجمة لا تتَّفق مطلقًا مع اللغة العربيَّة، بل تُحمِّل لغةَ النصِّ القرآني ما لا تَحتمل، فلُغة القرآن أيسَرُ وألينُ من تلك التَّحميلات التي تُعيق لغةَ النصِّ من أن تَصِلَ إلى العالمين.

لكن إذا رجعنا إلى التفاسير الأربعة التي ادَّعى أنَّ اعتماده في الترجمة عليها،

---

١ - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص٨٩.

لوجدنا خلافَ ما يَذهب إليه روبين في ترجمته، فتفسير "الجلالين" يُفسِّر الآية بقولـه: وضُرِبَت عليهم الذِّلة إلى يـوم القيامة[١]. في حين فسَرَّها (البيضاويّ) على معنى الخروج من ديارهم أو الجزية[٢]. وهذا ما ذهب إليه (السمرقندي) أيضًا في تفسير "بحر العلوم"[٣]، و (ابن الجوزي) في "زاد المسير"[٤].

ومن ثَمَّ فإنَّ هذه التَّفسـيرات لم تُحمِّل اللَّفظـة أو الجملة ذلكَ المعنى الـذي أتى به (روبين) مـن عنديّاتـه، وإن كان يُترجِم اللَّفظـة في ضوء ما ذهـب إليه بعض المُفسِّريـن المعتمَدينَ عنده على معنـى الجزية، فيُعوِّل على الجزية ظنًّا منه أنَّها تُعبِّر عن ضَعف مكانتهم ومَنزلتهم؛ بسـبب النَّظر إليهـم على أنَّهم أهلُ ذِمّة، فليس في ذلك وجه لمـا يذهب إليه؛ لأنَّهم ما قَصدوا بمعنى اللَّفظة ما ذهب إليه هو، وإنَّما تفسـيرُهم يتعلَّق بالمستقبل، أي أنَّهم سـيكونون في ذِلّة مُسـتقبَلاً بكفرهـم وعصيانهم، ولم يكن الأمر يتعلَّـق بوضعهم في المدينـة أيام البعثة؛ لأنَّهم كان يُنظَـر إليهم على أنَّهم جـزء من وطن المدينة. هذا فضـلاً عن أنَّ مصطلحَـي: "الجزية" و "أهل الذمّة" في الإسـلام لا يحملان هذه الدلالات السلبيّة التي يُحاول (روبين)

---

١ - انظر: جلال الدين المحلي؛ وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص١٦٩.

٢ - انظر: ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي: تفسير البيضاوي - المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص٥٩٠.

٣ - انظر: السمرقندي: بحر العلوم، ص٥٧٢.

٤ - انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ج١، ص٣٧١.

أن يُلصِقَهـا بجملة "وذلّـة في الحياة الدنيا" وألفاظهـا واضحة الدلالة في اللغـة العربيَّـة، وإنَّما يحمل المصطلحـين المعانيَ الإيجابيّـة التي تضع لغير المسـلم واجباتِه أمامَه بجوار حقوقه، مثلما تَضع أمام المسلم حقوقَه وواجباته. ومن هذه المعاني الإيجابيّة حمايةُ غير المُسـلِم، وعدم تحميله مشاقَّ الدِّفاع عن نفسه، ومن هنا تجبُ الجِزية، لكن في حال مشاركته في الدِّفاع تَسقط عنه الجزية، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ قيمة الزَّكاة المفروضة على المسلم أكبرُ من الجزية المفروضة على غير المسلم، فأينَ تدنيِّ مكانة اليهود بسـبب كونهم أهل ذمّة يَدفعون الجِزية؟! فهذه تُرّهاتٌ لا أساس لها من الصحّة.

قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقفَ (روبين) عند تفسير هذه الآية مُعوِّلًا على كلمة "الأمِّيّ"، حيث ترجمَها ترجمة تَخرج بها عن سياقها، فالأمّيّ عنده هو الأُمَميُّ، ولقد كانت هذه الكلمة محورًا لترجمة تفسيريّة في الحاشية، "وفي الهامش يُوضِّح (روبين) بأنَّه يَتبنَّى هذا التفسير بما يخالف معظم المفسّرين المسلمين الذين يَرَونَ أنَّ 'النبيّ الأمّيّ' الذي لا يَكتب ولا يَقرأ، ولكن ما يُوجِّه روبين في ترجمته هو اعتقادُه بأنَّ آية الأعراف إنْ هي إلاّ صدًى لما ورد في التَّوراة، [...] أي سأجعل لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم، لذلك يَرى (روبين) أنَّ هذه الآية تُشكِّل خلفيّة آية الأعراف،

فاعتُبرت البشارة التي تُنبئُ بمجيء النبي محمد عليه الصلاة والسلام"[١].

موقف (روبين) هنا يُعدُّ حلقةً من حلقات المواقف الاستشراقيّة من قضيّة أمّيّة النبيّ الكريم عبر مراحل الاستشراق المختلفة، وهو يُمثِّل مخالفةً صريحة للشواهد التاريخيّة التي تُثبتُ أنَّ النبيّ الكريم لم يكن له علمٌ بالقراءة والكتابة،، وهذا ما أكَّدته التفاسيرُ الأربعة التي اعتمد عليها (روبين) -فضلاً عن سائر التفاسير- فتفسير "الجلالين" لم يَطرق بابَ قضيّة أمّيّة الرسول، بيدَ أنَّه كذلك لم يَنْفها، وقد أكَّد تفسير (البيضاويّ) وتفسير (السمرقنديّ) على عدم مَعرفة الرُّسل بالقراءة والكتابة، في حين ذهب ابن الجوزيّ في تفسيره إلى وجهين في تفسير المعنى: الأوّل لأنَّه لا يَكتب، والثاني لأنَّه من أمِّ القرى[٢].

وهذه التَّفسيرات تَعني أنَّنا أمام أربعة مواقف: الأوَّل لم يَذكر القضيّة، والثاني والثالث أكَّدا على أمّيّة النبيّ قراءة وكتابة، والرابع قال بالأمِّيّ على معنيين: عدم معرفة الكتابة، وأُمَميّ نسبة إلى قريش. وكان من المُفترض أن

---

١ - انظر: ناصر الدين أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص٩٠.

٢ - انظر: جلال الدين المحلي؛ وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص١٧٠. & انظر: ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي: تفسير البيضاوي - المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٩، ص٥٧٦. & انظر: السمرقندي، بحر العلوم، ص٥٧٤. & انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ج١، ص ٥٢٢.

ينقــل (روبين) ترجمتَه بذِكر الوجوه الأربعة أو ما انتهى إليه مُعظمُها؛ لكنَّه آثَــرَ أن يَختارَ معنًى يَتيمًا من المَعنيَين اللَّذين ذهب إليهما (ابن الجوزي)، وهذا يَعني عندنا أنَّ عمليّة ترجمة ألفاظ القرآن الكريم بالاســتناد إلى هذه التفاســير كانت عمليّة انتقائيّة، يَنتقي منهــا (روبين) ما يحاول أن يُعضِّدَ به توجُّهَه العقديّ والســياسيّ، فما وجد فيه خدمةً لعقيدته -مســتندًا بالطبع إلى جهــده في التَّحوير وقلب الحقائق حول ما وجده- اختارَه، وما خالفَ عقيدتَه -ولو كان هو الأقوى والأغلب والأصحّ- تركَه واختار الأضعف، وكلُّ هــذا يُؤكِّد على أنَّ ترجمة (روبين) للقرآن كانت عمليّة انتقائيّة، فهو يَبحث في التَّفاســير الإســلاميّة عمّا يُؤيِّد به غايتَه ومقصده وهــواه وأيديولوجيّتَه. وهذا يقودنا -في التحليل الأخير- إلى أنَّ التفاســير الأربعة المُعتمَدة لديه لا تَعني شيئًا بالنسبة له ولترجمته ما لم تُؤيِّد النصَّ التَّوراتيّ الذي يُؤمِنُ به.

ومــن هنا ننتهــي إلى أنَّ ترجمة (أوري روبين) لمعاني ألفــاظ القرآن الكريم، كانــت تمُثِّل اعتداءً عــلى اللغة العربيَّة التــي يَقوم عليها النــصُّ القرآنيّ، وهذا الاعتــداء كان على مســتوى الألفــاظ وعلى مســتوى المعاني، على مســتوى اللفظة المفردة وعلى مســتوى التَّرجمة التفسيريّة، وهذا الاعتداء وصل إلى حدِّ التَّحريــف المُمنهَج، فقــد كان الاعتداء على لغة النصِّ وســيلتَه لتمرير أفكاره ومعتقداته تجاه الإســلام، وهــي كلُّها أفكار ومعتقدات تصــبُّ في غير صالح الإســلام، وإنَّما في صالح عقيدته اليهوديّة التي ظلّ وفيًّا لها في ترجمته للقرآن حتّى النهاية.

٤ - (شالوم زاوي) والتشكيك في مصدرية القرآن

من المستشرقين الذين يَنطلقون مُنطلَقًا عقديًّا في كتاباتهم المستشرق (شالوم زاوي)، وهو مستشرق إسرائيلي أكاديمي، وأحد مُمثِّلي الاستشراق اليهودي المعاصر، حيث يَعمد إلى التَّشكيك في المصدرية الإلهية للقرآن، حاملاً رايةَ دعوى اقتباس القَصص القرآني من العهد القديم.

ويعدُّ كتاب: (מקורותיהודייםבקוראן – "مصادر يهودية بالقرآن") باللُّغة العِبرية لمُؤلِّفه الحاخام والمستشرق الإسرائيلي (א.שלומזאוי - أندريه شالوم زاوي)، الصادر في القُدس عن "دار نشر دافير" "الإسرائيلية" عام ١٩٨٣م، والذي يقع في ٢٦٩ صفحة من القطع الكبير[1]، دليلاً على ذلك. وهذا الكتاب عبارة عن ترجمة لبعض آيات القرآن الكريم المُوزَّعة على ١١٤ سورة، جملة سور القرآن. بيدَ أنَّ هذا الكتاب -بحسب الدّارسين- يَحمل ما هو أبعد من الترجمة، فهو يَحمل نقدًا وتشويهًا للقرآن الكريم في داخل هذه التَّرجمة.

إنَّ (شالوم زاوي) زعمَ أنَّ الكثير من الأساطير الدِّينية اليهودية تمَّ

---

1 - א.שלומזאוי: מקורותיהודייםבקוראן, הוצאתדביר, ירושלים، 1983. نقلاً عن: أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

تَضمينهـا في كتـب المسـلمين الأوائل حـول القرآن وسـيرة محمد؛ مثل تفاسـير (الطبري) و(البيضاوي) وكتاب (البخـاري)، مُؤكِّدًا أنَّ القرآن بُنِيَ بشـكلٍ عامّ على أفكار العهد القديـم، وفي مقدِّمتها حبُّ الإله ووحدانيته المُطلَقة[١]. هو إذن يَحمل لواء فرضية اقتباس القرآن من اليهودية، متأثِّرًا في ذلك بأعلام الفِكر اليهودي: (إبراهام جيجر) في كتابه "ماذا أخذ محمد من اليهوديـة"، و (جولدزيهر) في كتابه "محاضرات في الإسـلام"، و (إبراهام كاتش) في كتابه "اليهودية والإسلام"[٢].

ولذا فإنَّ الإطار الفكريَّ الذي يَنطلق منه (شالوم زاوي) لا يختلف كثيراً عن نظيره عند (أوري روبين)، فكلٌّ منها عمدَ إلى نقد جانبَين: لغة القرآن، وأفـكار ومضامين القـرآن خاصةً في جانبـه القَصصي. فكتـاب (روبين) في الجانـب الأول يَحوي "عددًا مـن الفرضيات اللُّغويـة التي حاول من خلالها التَّشكيك في أصالة لغة القرآن، وردّها للغات أخرى سامية لا سيَّما العبريـة منهـا، فيذكر أنَّ لفظة (القرآن) جاءَت من اسـم الفعل في العبرية:

---

1 - א.שלומזאוי: מקורותיהודייםבקוראן, הוצאתדביר, ירושלים، 1983. نقلاً عن: أحمد صـلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشـالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي:

https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

2 - Abraham Katsh: Judaism in Islam, pp. 1- 2.

(קרא) بمعنى: قراءة أو تلاوة أو تسميع، وهذا اللَّفظ العبريُّ جاء منه أيضًا كلمة: מקרא (المِقْرا/ أي: الشريعة المقروءة في اليهودية) التي تُشير إلى التَّسمية اليهودية لكتابهم المقدَّس المعروف في الأوساط العربية بـ"العهد القديم"[١].

كما يَحوي الكتابُ في جانبه الثاني الكثيرَ من النَّقد والتَّشويه لمضامين القرآن، من ذلك ترجمتُه للآيات من ٦٠ - ٧٠ من سورة البقرة، التي يَقول فيها: "إنَّ القرآن خلَطَ في هذه الآيات بين البقرة الحمراء الوارد ذِكرُها في سِفْر العدد بالتَّوراة وبينَ العِجل مقطوعَ الرأس الوارد ذِكره في سِفر التثنية بالتَّوراة، كما أنَّه يذهب لأبعد من ذلك بإقحام كلماتٍ في التَّرجمة غيرِ واردة في النصِّ القرآني، ومن أمثلة ذلك ترجمتُه للآية ١٢٤ من سورة البقرة: ﴿**...قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...**﴾؛ إذْ يُترجِم لفظة 'إمام' إلى כוהן بمعنى 'كاهن' بالعِبرية، ويردُّ أصلَها إلى التلمود"[٢].

وبما أنَّ المستشرق (شالوم زاوي) يَتبنَّى فرضيّةَ الاقتباس من اليهودية، فإنَّ فِكرَهُ قائمٌ على أساس من المَنهج الشكيِّ، الذي يَقوم على التَّشكيك في النصوص القرآنية، ومنهج التأثير والتأثُّر الذي يَبحث عن مُؤثِّرات يهودية

---

١ - انظر: أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة.

٢ - انظر: שלום זאוי: שם, עמ 59. نقلاً عن: أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة.

فيها. "شـأنُه في ذلك شـأن غالبية المسـتشرقين اليهـود والإسرائيليين في اسـتخدامهم لهذا المنهج؛ وهو ما جسَّد ظاهرً أو سمة 'الامتداد والتكرار' التي تَسِـم معظمَ الكتابـات الاسـتشراقية الإسرائيلية التي مَثَّلـت امتدادًا للاسـتشراق الغربي، وتكرارًا لنفس مناهجه وفرضياته العلمية حول القرآن الكريم والشؤون الإسلامية عامّة"[1]. ولا شكَّ في أنَّ هذا يمثِّل محاولةً منه للوصول إلى نوع من الانتصار العقدي لديانته اليهودية، وإلا لَما اسـتخدم فكرتَه عن الاقتباس دون دليل حقيقي يَسـتند إليه، ولَما اسـتخدم منهجية التأثـير والتأثُّر دون تطبيق حقيقيٍّ رصين يتناسـب مـع مقتضيات المقارنة الصَّحيحة التي أرساها المنهجُ العلميُّ السليم.

إنَّ دراسـة إنتاج هؤلاء المستشرقين المعاصرين يَكشف عن مزاعمِه حول اقتبـاس القرآن من اليهوديـة، "وهو ما نراه بوضـوح في الجهد الذي بذلَه أندري شالوم في مقارنة سورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة بكتب اليهود الدِّينيّـة، زاعمًا أنَّ ما جاء في القرآن مأخـوذ عن هذه الكتب لمجرّد وجود بعض التَّشـابه أحيانًـا في بعض الآيات. يُضاف إلى ذلـك عدم الاعتراف بوَحيانيّة آيات القرآن، وهذا يُبرِّر -عندهم- ردَّها إلى مصادر دينيّة كالعهدين

١ - أحمـد صـلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشـالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي:
https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

وغيرهـما. وهو ما يُصرِّح به المستشرقُ اليهوديُّ نفسُه، بقولـه: يَبدو أنَّ مُؤلِّفَ القرآن من خلال هذه السُّورة استعار من اليهوديّة بشكل خاصّ جزءًا مُهمًّا من الأمر الإلهيِّ والقانون العبريّ الذي سبقَه"[١].

أ - دعوى اقتباس بعض ألفاظ القرآن من اليهودية

مال (شالوم زاوي) في سياق كتابه: مصادر يهودية في القرآن إلى الحديث عن بعض ألفاظ لغة القرآن، مُتَّهمًا إيّاها بأنَّها مقتبسة أو مأخوذة من اليهودية، وما مَيلُه هذا إلا بناءً على دوافع عقدية صرفة، بعيدةٍ كلَّ البُعد عن المنهج العلمي.

فمثلاً في معرض تعليقه على الآية ٩٣ من سورة البقرة: ﴿**... قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا ...**﴾ يقول: "تُذكِّرنا الآية بأحداث العجل الذهبيّ. يُغيِّر القرآن من القَسَم التَّوراتيّ 'نفعل ونسمع' و 'كلّ ما تكلَّم به الربُّ نفعل' [سِفْر الخروج ١٩: ٨ و ٢٤: ٣]، ويُكرِّر حقيقتَه في أواخر السُّورة 'سمعنا وأطعنا...واغفر لنا'"[٢]. فهو يدَّعي أنَّ القرآن استبدلَ لفظيّ ﴿**... سَمِعْنَا**

---

١ - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص٢١٨.

٢ - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص٢٢٥.

وَعَصَيْنَا ...﴾ بلفظيّ "نفعل ونسمع" اليهودية. والحقيقة التي لا مفرَّ منها أن (شالوم زاوي) هنا لا يمَلك إلا ترّهات، فلا يستطيع أن يُقدِّم لنا دليلاً واحدًا على ما يَزعمه، والغريب في الأمر أنَّ هناك اختلافًا جوهريًّا في الموقفَين: موقف يفعل ويسمع، وموقف يسمع ويعصي، فكيف يَلتقيان؟! فضلاً عن أنَّ الموقف التَّوراتي لا يَستقيم، فالصَّحيح أن يَسمع الإنسانُ أولاً ثم يَفعل، لا أن يَفعل أولاً ثم يَسمع.

علَّق (زاوي) على الآية ٢٤٨ من سورة البقرة: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ...**﴾، بالقول إنَّ لفظة "سَكينة" اقتبسَها محمدٌ من اليهود الذين سمعها منهم، وأنَّ هذه اللَّفظة مرتبطة بقصة عودة التابوت من أرض فلسطين زمن صموئيل (أحد أنبياء بني إسرائيل)[١]. والمعنى: "أي تَسكنون عندَ مجيئه وتُقرُّونَ له بالملك، وتَزول نَفرتُكم عنه، لأنَّه متى جاءَهُم التّابوت من السَّماء وشاهدوا تلك الحالة فلا بدَّ وأن تَسكن قلوبُهم إليه وتَزول نَفرتُهم بالكُلِّية"[٢].

ج - دعوى اقتباس القَصص القرآني

لا يختلف هذا المستشرق عن غيره من المستشرقين ممَّن حاولوا الزَّعم باقتباس القرآن من اليهودية، فقد كان الشقُّ الأساسيُّ عنده تناولَ القَصص

١ - انظر: أحمد البهنسي: كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمستشرق شالوم زاوي.
٢ - على بن نايف الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ج٧، ص١٣٣.

القرآني في سياق المَنهج الإسقاطي الذي سار عليه.

من ذلك مثلاً حديثه عن الآية ١٢٥ من سورة البقرة: ﴿**... وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ...**﴾ حيث يقول: "مَقام بالعَربيّة هو الحجر الأساس -أبعاده ٦٠ سنتمتر على ٩٠ -، فيه آثار أقدام إبراهيم (عليه السلام) حسب الحديث، ووَفقًا للمفسِّرين فهو الحجرُ الذي يُعرف بمَقام إبراهيم، أي موضع قدميه حيث صعدَ منه إلى سطح الكعبة عند بنائها مع ابنه إسماعيل (عليه السلام). وفقًا لتلمود سوطا [١٠: ٣٢-٣٣]: أقام إبراهيم حديقةً ببئر السَّبع ودعا ضيوفَه لتناول ما لذَّ وطاب من الأطعمة والأشربة، ووَفقًا للتَّرجمة التَّفسيريّة لسفر التكوين [٢٤: ١٤] فقد أسَّس كلٌّ من إبراهيم وإسحاق بيتَ الله الذي تجلَّى فيه الإلهُ. لكنَّ الحديث النبويَّ غيَّرَ إسحاق بإسماعيل."[١].

وكأنَّ هذا المستشرق -كغيره بالطَّبع- يتَّخذ من التَّوراة معيارًا يَقيس به صدقَ الكتب التالية عليها من عدمه، وهذا يُعدُّ قمةَ التعصُّب، ناسيًا تلك الأخطاء الكبيرة التي تظهر في نسخة التَّوراة المتداولة، والتي تَتنافى في كثير من جزئياتها مع العقل والمنطق، فضلاً عن العقيدة الإسلامية الصحيحة. فهل تُعدُّ التَّوراةُ معيارًا رغم أنَّ الثابت -حتى من بين نصوصها-

---

١ - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص٢٢٧.

أنَّهـا كُتبت بعـدَ موت موسى بقرون؟! ثم هل فهم هذا المسـتشرق وغيرُهُ نصوصَ التَّوراة التي تتحدَّث عن هذه القصة جيِّدًا؟! هل استطاع أن يُدرِكَ التَّناقُضَ الواضح بين هذه النُّصوص والتي تَحكُمُ بأنَّ الذَّبيح إسـماعيل لا إسحاق؟!

إنَّ الدليل على أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل واضح في القرآن وفي التَّوراة، رغم حركة التَّمويه التي قام بها كاتب التَّوراة، كسبًا لشرف ليس لهم، فنُصوص القرآن تُؤيِّد أنَّ الذَّبيح إسماعيل، نفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ¤ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ¤ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ¤ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ¤ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ¤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ¤ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ¤ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ¤ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ¤ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ¤ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ¤ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ¤ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ¤ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾ [الصافات: ١٠٠-١١٣]. فالآيات من الآية ١٠٠ إلى الآية ١١١ تتحدَّث عن بشرى الغلام الحليم الذي بلغ مع والده السَّعيَ، وقصَّ عليه والِدُه رُؤياه في المنام، واستجاب الغلامُ لأمر الله تعالى، ثمَّ بعد أنَّ صدَّقَ إبراهيم الرُّؤيا، كان نتيجة ذلك أمرين: فداه الله تعالى بذِبحٍ عظيم وبشَّره بغلام آخر هو إسحاق نبيًّا من الصالحين، ومن

ثَمَّ فليس الغلامُ الأوَّلُ الذي بشَّره الله تعالى به إلا إسماعيل؛ إذ يَستحيل أن يكون الذَّبيحُ إسحاق، وهل يُعقَلُ أن يُقدَّم للذَّبح والفداء ثم يُبشَّر سيِّدُنا إبراهيم به؟! فسياق الآيات يدلُّ على أنَّ إسماعيل هو الذَّبيح الابن الأكبر لأبيه، ثم كانَت بعد ذلك البشارة بمولد إسحاق.

لكنْ قد يعترضُ هذا المستشرق أو غيرُه بأنَّ القرآن يَسوق هذه الرِّوايةَ من وجهة النَّظر الإسلامية التي يَعترض عليها (جولدتسهير) ذاته ومن سار على دربه، إذنْ فلنتناول الرِّوايةَ كما وردَت في التَّوراة. إذ سرعان ما نجد التَّوراةَ تكشف لنا بينَ السُّطور عن الذَّبيح إسماعيل خلافًا لما تدَّعي، حيث جاء في التَّوراة: "خُذ ابنَكَ وحيدَكَ الذي تُحِبُّهُ إسحاق، واذهَبْ إلى أرض المريا، وأصعِدْهُ هناك محرقةً على أحد الجبال الذي أقول لك" [التكوين: ٢٢ - ٢]. إذ من المعروف أنَّ إسماعيل هو الابن البِكرُ، ويَعني هذا أنَّه كان وحيدَ أبيه قبل ولادة إسحاق، فكيف يكون إسحاق وحيدَ والده وهو الابن الثاني، وإسماعيلُ ظَلَّ حيًّا طيلةَ حياة والده، وهو مَن حضرَ دفنَ والدِه إبراهيم، وهذا يعني أنَّ إسحاق لم يكن يومًا وحيدَ أبيه.

هناك بعضُ الأدلة الأخرى من التَّوراة التي تُثبتُ ذلك، منها: "فبَكَّرَ إبراهيمُ صباحًا، وأخذَ خُبزًا وقربةَ ماء، وأعطاهُما لهاجر، واضِعًا إيّاهُما على كتفِها والولد، وصرفَها فمَضَتْ وتاهَت في بَرِّيّة بئر سبع" [التكوين: ٢١ - ١٤]. ومنها: "وسكنَ في بَرِّيّة فاران، وأخذَت له أمَةً زوجةً من أرض مصر" [التكوين ٢١ - ٢١]. بمعنى أن إسماعيل سكنَ مع أمِّه في بئر

سـبع، وبعدَها انتقـل إلى فاران التي كانَت تُطلَق عـلى جبال مكة وبعض ضواحيها، فالمقصود هنا إسـماعيل لا إسـحاق، وقصّـةُ الذَّبح تمَّتْ في ذلـك الموقع من الحجاز، ومن ثَمَّ فإن المقصود هو إسـماعيل، ولو كان المقصود إسحاق لكانت أحداث القصة في الشام حيث يسكن، فَضلاً عن أنَّه من الناحية العقلية لو كان إسـحاق هو الذَّبيح، فكيف يتَّفق ذلك مع ما وعد الله تعالى به إبراهيمَ في ابنه إسـحاق من الذُّرّية والنَّسل؟! فهل يَعِدُهُ بالذُّرّية والنَّسـل في الوقت الذي يُقدِّمُه كقُربانٍ؟! فهذا لا يتَّفِقُ مع عقل أو منطق.

ومن الأمثلة أيضًا حديثُه عن الآية ١٢٥ من سورة البقرة: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا ...**﴾ حيث يقول: "كان محمَّدٌ (ص) في صلاته يَستقبل بيتَ المَقدس -كما هي عادةُ اليهود- الواردة في [دانيال ٦ - ١١]، وبعد ذلك فكَّ النبيُّ هذا الارتباطَ بينه وبين اليهود وأمرَ أتباعَه بالتوجُّه إلى الكعبة شطر فناء المسجد الكبير. كما أنَّ الآية ١٤٨ تقول: 'ولكلٍّ وجهةٌ هو مُولِّيها فاستَبِقُوا الخَيرات أينَ ما تكونُوا يَأتِ بِكُمُ اللهُ جَميعًا' مَثيلُها في [الخروج ٢٠ - ٢٤] 'في كلِّ الأماكنِ التي أصنَعُ فيها لاسمي ذِكرًا آتي إليكَ وأُبارِكُكَ.'"[١].

---

١ - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسـورة الفاتحة وآيات من سـورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص٢٢٨.

لكـنَّ تَحويل القِبلة حدثٌ لا يُمثِّلُ شُـبهةً كما يحاول (شـالوم زاوي) – وغيره من المسـتشرقين السـابقين من أمثال تيسـدال ومن سار على دربه- أن يُوهِـمَ بها مثلَما فعل اليهودُ أيام النبـيِّ الكريم، عندما قالوا: "اليومَ اتَّبَعَ قِبلتَنـا، وغَدًا يَتَّبِعُ دِينَنا"، وهو المَنطـق المُعوجُّ ذاته، الذي حكموا به على تَحويـل القِبلة إلى البيت الحـرام، عندما قالوا: "أعرضَ عـن قِبلةِ الأنبياءِ قَبلَـهُ". وهذا الحُكم اليهوديُّ المُعوجُّ هو نفسُـه ما نجده عند المسـتشرق (زاوي)، الذي يُحاول أن يُوهِمَ بأنَّ النبيَّ الكريم شارك اليهودَ في القِبلة في أوَّلِ الأمر، ثم توجَّهَ في نهاية الأمر إلى الكعبة.

علمًا بأنَّ أقلام المُفكِّرين والعلماء العرب والمسلمين قد أفاضَت في الردِّ على هذه الفِرية المُتهافتة، ويَكفي أن نقف على بلاغة القرآن في قول الله -تعالى-: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة: ١٤٢]. فالقرآن يُخبِر بقوله "سيَقول"، بما تدلُّ الكلمةُ عليه من محاولة اليهود إلقاءَ الشُّبَه في المستقبل، أي أنَّه يا محمد عندما تُغيِّرُ القِبلةَ إلى بيت المَقدس سوف يُثير اليَهود السُّفهاءُ الشُّبُهات.

ومن ثَمَّ كان ردُّ القرآن عجيبًا على هذه الشُّبهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**... قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ...**﴾ [البقرة: ١٤٢]، "وقد سلكَ الله في هذا الجواب لهم طريقَ الإعراض والتَّبكيت؛ لأنَّ إنكارَهُم كان عن عناد لا عن طلبِ الحقِّ؛ فأُجيبوا بما لا يَدفَعُ عنهم الحَيرةَ، ولم تُبيَّنْ لهم حكمةُ

تحويل القِبلة، ولا أحقِّيّة الكعبة بالاستقبال، وذلك ما يَعلَمُه المؤمنون"[١].

والغريب في الأمر أنَّ قِبلةَ اليهود التي يحاول (زاوي) أن يُوهِمَ أنَّ المسلمين اقتبسوها منهم ليست قِبلةً إلهيّةً أمرَهُم الله تعالى بها على أيام سيِّدنا موسى، والدَّليل أنَّ بيتَ المَقدس لم يُبنَ على عهد سيدنا موسى حاملِ الرِّسالة، وإنما بُني بعده بقُرون على أيام سيِّدنا سليمان. بل إنَّ المتأمِّلَ في نصوص التَّوراة ذاتِها لا يجد فيها نصًّا يُشيرُ إلى اتِّباع قِبلةٍ مُعيَّنة للصلاة لله تعالى.

في حين نجد أنَّ النَّصارى لم يتحدَّثوا في قضية تَغيير القِبلة عند المسلمين، وإن كانت قِبلتُهم لم يُصِبْها التَّغيير عما ورد عن اليهود. "ولكنَّهم لما وجدوا الرُّومَ يَجعلون أبواب هياكلهم مستقبلةً لمَشرق الشمس، بحيث تَدخل أشعة الشمس عند طلوعها من باب الهيكل، وتقع على الصَّنم صاحب الهيكل الموضوع في مُنتهى الهيكل، عكسوا ذلك فجَعلوا أبواب الكنائس إلى الغرب، وبذلك يكون المَذبح إلى الغرب والمُصلُّون مستقبلين الشَّرق"[٢]، بيد أنَّ النَّصارى منذ العصور الوسطى وحتى الآن أصابَهُم التَّغيير؛ حيث تَركوا استقبالَ جهة مُعيَّنة؛ وعليه تكون كنائسُهم مختلفةَ الاتِّجاه، وكذلك المَذابح المُتعدِّدة في الكنيسة الواحدة[٣].

---

١ - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، [البقرة: ١٤٢].

٢ - راجع: إسلام أونلاين: "ما ولاهم عن قبلتهم.. شبهة السفهاء".

٣ - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، [البقرة: ١٤٢].

أما الآية ١٥٨ من سورة البقرة: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ...**﴾ فيقول عنها (شالوم زاوي): "يُعدُّ الحجُّ إلى مكّة عند المسلمين أحدَ أركان الإسلام الخمسة. يَجب على كلِّ يَهوديٍّ أن يحجَّ ثلاثَ مرّات في العام، في عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال راجع: [التثنية: ١٦ - ١٦]."[١]، لكنَّ التَّساؤل هو: أي اقتباسات يهودية هذه التي اقتبسَها القرآنُ؟! وإذا الأمر كذلك فإنَّه مِنَ الأولى أنْ يُمارِسَ اليَهودُ ما دعَت إليه هذه الرِّواياتُ من طقوس وشعائر الحجِّ، فهل نجدُ من اليَهود عبرَ تاريخهم مَن نفَّذَها وأدّاها، ما داموا يَزعمون أنَّ النبيَّ إبراهيم عليه السلام مَلِكُهم وحدَهم؟!

الحقيقة أنَّ اليهودَ لم يُمارسوا الحجَّ إلى بيت الله الحرام، بل إنَّ مواسم الحجِّ عندهم مُتوافقةٌ مع أعيادهم[٢]. فعيدُ الفصح أهمُّ مواسم الحجِّ اليهودي، بمناسبة عبور سيِّدنا موسى البحر، أو خروجه من مصر[٣]، وعيد

---

١ - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه 'مصادر يهودية بالقرآن'"، ص٢٢٨.

٢ - انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤، ص١٦٦.

٣ - انظر: حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، ص.ص. ٨٢ و٢١٩. & انظر: عبد الرازق الموحي: العبادات في الأديان السماوية، ص١١٨. & انظر: عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص١٥٢. & انظر: حسن ظاظا: "من التخبط اليهودي يهود المرّان"، ص٢٢.

الحصاد أو الأسـابيع بدعوى أنَّه اليوم الذي نزلَت فيه الوصايا العشر على موسى (عليه السلام)[١]. وعيدُ المَظالِّ أو الظّلل أو الأكواخ، وهو آخر أعياد الحجِّ الكبرى، وثاني أيام الحَصاد، ويُقال إنَّ مدّتَه ثمانيةُ أيام[٢]. ولم ينصَّ العهدُ القديم على طقوس مُحدَّدة للحجِّ، وإنَّما ذكرَ هذه المواعيد الثلاثةَ، ونجد هـذا في نصٍّ يَقول: "ثلاث مرات في السَّـنة تُحـضِرُ جميعَ ذُكورِكَ أمامَ الـربِّ إليك في المكان الذي تَختاره، في عيد الفطير وعيد الأسـابيع وعيد المظال، ولا يَحضروا أمامَ التراب فارغين، كلُّ واحِدٍ حَسـبما تُعطي يدُه، كبركـة الربِّ إلهك الذي أعطاك" [التثنية: ١٦: ١٦- ١٧]. فإذا أضفنا إلى ذلـك أنَّ اليهود رغم أنَّهم يَحجُّون اليوم إلى القدس أو إلى ما يُسـمَّى حائط المَبكى بزعم أنَّه مكان هيكل سـيِّدنا سليمان، فإنَّهم لم يَحجُّوا عبر تاريخهـم عند مكان مُحدَّد، ولكن تعدَّدَت أماكِنُ حجِّهم ما بينَ سـنديانة قمرا وبئر لحى الرائي وبيت إيل[٣].

ومن هنا نتساءلُ كيف تكون الرِّواية اليَهودية عن الحجِّ هي مصدر شعائر وطقوس الحجِّ في الإسلام كما يدَّعي (تيسدال)؟! فإذا لم يَكونوا قد آمنوا

---

١ - عبد الله بن ناصر القحطاني: "العبادة في الديانة اليهودية"، ص٢٣٨. & انظر: نبيل الربيعي: تاريخ يهود الخليج، ص٢٤١.

٢ - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص٢٠٤. & انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٢٦٤.

٣ - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص٧.

بها أو مارسوها أو تَخِذُوها سبيلاً للحجِّ فكيف تكون مصدرًا للحجِّ؟! كلُّ هذا يَحكم ببطلان ما ذهب إليه هذا المستشرق من افتراءات ومزاعم، هذا فضلاً عن أنَّ الحجَّ في الديانة اليهودية لم يكن مُلزِمًا، إذ "الحجُّ عند اليهود ليس بفَريضة، ولا ركنًا من أركان العبادة في اليهودية كما هو في الإسلام، فهو على أكثر تقدير يُشبِهُ العُمرةَ عند المسلمين"[١]. ولو كان فرضًا لاتَّبعوا شعائرَ وطقوس الحج الإبراهيمية، وهو ما لم يفعلوا.

علمًا بأنَّ الحضارات القديمة كانَت تُمارِسُ الحجَّ حسبَ مُعتقَداتها، ولم يقلْ أحدٌ أنَّها أخذتها عن غيرها، فالمصريون القدماء كانوا يَحجُّون إلى معبد أوزيريس في مدينة أبيدوس، والهنود كانوا يَحجُّون في معابدهم الضَّخمة على جبال الهيمالايا ونهر الكينج، والصِّينيُّون كانوا يَحجُّون إلى الجبال المُقدَّسة كجبل تاي[٢].

ومن ضمن مزاعم (شالوم زاوي) زعمُه باقتباس الآية ١٨٣ من سورة البقرة: ﴿**... كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...**﴾. من اليهودية؛ حيث يقول: "هناك إشارة واضحة للصَّوم في يوم الغفران 'من المساء إلى المساء' [اللاويّين ٢٣: ٣٢]، لكن بعد هذه الآية، يأمر محمّدٌ (ص) بصيام شهر كامل 'شَهرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدًى للنّاسِ'.

---

١ - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص٩.

٢ - انظر: حسن ظاظا: "طقوس الحج عند اليهود، السعودية"، ص٦.

يَستمرُّ الصِّيامُ لمدَّة تسعة وعشرين يومًا مُتتالية من شروق الشمس إلى غروبها. يتناول الصّائمونَ خلال ليالي رمضان الطَّعامَ والشَّرابَ ويَحِقُّ لهمُ الرَّفَثُ إلى نسائِهم ‘هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وأنتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ’. وتَجدر الإشارةُ إلى أنَّ مُضاجَعةَ النِّساء في اليهوديّة ممنوعةٌ في ليالي الصيام"[1].

وعلى الجانب الآخر نتساءل: ما المُشكلةُ هنا؟ إنَّ الصِّيامَ لم يكن حِكرًا على المسلمين، ولم يَكونوا أوَّلَ مَن فُرِضَ عليهم، وإنَّما كان مفروضًا على الأمم السابقة، بدليل قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

كما أنَّ الصِّيام كان مَفروضًا على أهل الكتاب، فاليَهود يَصومون في بعض الأيام من قَبلِ غروب الشمس حتى غروب شمس اليوم التالي، وهناك أيّامٌ أُخَر يَبدأ فيها تَوقيت الصَّوم من شروق الشمس حتى الغروب كتَوقيت المسلمين، ويمَتنعون فيها عن الطَّعام والشَّراب والجماع. فإذا كان (زاوي) يَنطلق من معيار واحد لا ازدواج فيه، ومن منهجية لا تقبل الشكَّ أو الجدال، لقال بأنَّ هناك تشابُهًا بين صيام اليهود وصيام الصابئة، وأنَّهم أخذوه عنهم واقتبسوه اقتباسًا، لكنَّه لم يفعل، فدلَّ ذلك على أنَّ

---

١ - العياشي العدراوي: "ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي من خلال كتابه ‘مصادر يهودية بالقرآن’"، ص٢٢٩.

المعيار مزدوجٌ، والمنهج غـير منضبط. كما أنَّ صيام النَّصارى عند بعض فِرَقِهـم يَبـدأ من الشُّروق للغـروب على اختلافٍ بينَهـم، وعند بعض آخر يَبـدأ من الشُّروق لِمَا بعدَ منتصـف النهار، أمّا من حيث طبيعة الصِّيام فهو الامتناع عن بعض أنواع الطَّعام والشَّراب على اختلافٍ بينَهم.

ثانيًا: نقد الغاية السياسية

نسـتطيع القول إنَّ القراءة السياسـية من القراءات التي يَعمل الاستشراق المعـاصر عليها في بعض جوانبه، وليـس في كلِّ جوانبه، خاصّةً ما يتعلَّق منهـا بالمراكز البَحثيـة الإسرائيلية أو اليهوديـة في دول العالم، وما يتعلَّق بتوجُّهات بعض المسـتشرقين الذين يَسـعَون لتنفيـذ المُخطَّط الصهيوني العالمـي، إذ لو قُلنا ذلك لكان حكمُنا غيرَ صائـب من وجهة نظرنا، لكن يَبقـى الهـدف السـياسيُّ هدفًا من ضمـن أهداف الاسـتشراق المعاصر، ولكنَّه مختلف عن مثيله في الاسـتشراق القديم، فالاسـتشراق القديم كان يمُهِّـد للاحتلال أو لشرعنة وجـوده في الأراضي العربية والإسـلامية، أما الاستشراق المعاصر فكان هدفُه السياسيُّ ينحصر في شرعنة وجود الكيان الصهيـوني أو كسـب التأييد لـه أو محاولة تصوير الوضع عـلى أنَّه تبادُل ثقافي وغيره.

والبُعدُ السياسيُّ هو أوَّلُ ما يَظهر في الدراسات الاستشراقية "الإسرائيلية" المعـاصرة، إذ مـن المعروف سـلفًا أن هنـاك عـداءً تاريخيًّا بـين اليهود

والمسلمين، بلغَ ذروتَه في عصرنا الحالي؛ نتيجة الممارسات التي يُمارسها الكيان الصهيوني المحتلُّ. هذا الكيان يحاول بشتى الطُّرق أن يُشرعِنَ وجودَه بشتى الوسائل غير المشروعة دينًا وعُرفًا وقانونًا، ومن ثَمَّ يَسير الاستشراق الإسرائيلي المعاصر على النَّهج ذاته، محاولاً كسب شرعيّةٍ زائفة لوجوده على الأرض.

فالكتابات الاستشراقية "الإسرائيلية" المعاصرة أو حتى القديمة منها - فيما أعلم- لا تتناول النصَّ القرآني إلا في ثوب النصِّ التَّوراتي، أي أنَّها لا تَعترف للنَّص القرآنيِّ بشيء من الذاتية أو الخصوصية، ويُشير أحدُ الباحثين إلى أنه ليس "في الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية ما يقول صراحةً بخصوصية القَصص القرآني، وتمَايُزه عن قَصص الكتاب المقدَّس، لكن وردَت بعضُ الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية التي تقول بوجود بعض الاختلافات، أو أنَّ هناك قصصًا وردت في القرآن تَعود لشخصيات دينية لم تَرِدْ في العهد القديم، أو أن هناك بعض اختلافات في بعض أسماء الشَّخصيات الواردة في قصص القرآن الكريم عن تلك الواردة في العهد القديم"[1]، ضاربًا مثالاً في ذلك بكلٍّ من:

- الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia.
- وكتاب المستشرق الإسرائيلي (أوري روبين) بين الكتاب

١ - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

المقـدس والقـرآن .. أبنـاء إسرائيل وصـورة الإسـلام الذاتية.
Between Bible and Qur'an .. The Children of Israel and The Islamic Self Image.

وهـذا يَعني أن القَصص القرآني يُمثِّل بالنسـبة لهـم محورًا من المحاور التي يحاولون من خلالها أن يَزعموا وجودَ وشـائج وطيدة بين المسلمين واليهـود؛ كي يَنطلقوا بعدهـا إلى محاولة الادِّعاء بالأصل السَّـامي الذي يَجمـع الاثنين، ومن ثَمَّ يَسـهل عليهم حينها القـولُ بشرعية الوجود على الأرض المغتصبـة، فبما أنَّ القَصص القـرآني تأثَّر بالقَصص التَّوراتي على زعمهم، فهذا دليل على قوة الوشائج بين الديانتَين، التي يمُكن أن يُؤسَّس عليها -حسـب زعمهم أيضًا- تبادُلٌ ثقـافيٌّ واجتماعي يمُكِّن من التعايش السلمي بينهم على الأرض.

١ - الغاية السياسية عند المستشرق (أوري روبين)

ويَظهـر هذا الأمر بوضوح عند (أوري روبين) في ترجمته لمعاني القرآن الكريـم إلى العبريـة، وكأنَّه جعل هدفَـه الرَّئيس من هذه التَّرجمة تشـويهَ الإسـلام لأغراض سياسـية تخدم صـورة دولته المحتلة، أكـثر من كونها أغراضًـا علمية، وهذا الأمر لا يَظهر في ترجمتـه لمعاني القرآن في جانب القَصص القرآني فقط، بل تعدَّى ذلك إلى كلِّ ما يتعلَّق بالآيات القرآنية من موضوعات، عنوانهـا الرئيس خدمةُ السِّياسـة "الإسرائيلية" وتَلميع صورة الكيـان المحتلِّ أمام العالم، وإظهار الإسـلام في صـورة الدِّين المُعتدي

الذي جاء لهلاك العالم بمفاهيم الجهاد والقتال التي يَحتويها.

وهـذا ما أكَّدَه أحـدُ الباحثين عندما قال إنَّ "الاسـتشراق الإسرائيلي تميَّزَ بغلبة الطابع السـياسي عليـه؛ حيث إنَّ معظم اهتماماتـه وموضوعاته التي تناولها بالدراسـة كانت سياسـيةً، وحتى الدِّينية منها أو اللُّغوية أو الأدبية أو التاريخية تمَّ اسـتخدامها وتَطويعها لخدمة أغراض سياسـية، ولعلَّ من أبرز الأمثلة على ذلك ما أورده البروفيسور (أوري روبين) صاحب أحدث ترجمة عبريـة لمعاني القرآن الكريم صدرت في إسرائيـل عام ٢٠٠٥ في تعليقات وهوامش ترجمته من بعض الإسـقاطات السياسية على آيات القرآن الكريم، ولا سيَّما المُتعلِّقة منها بالقتال والجهاد وعلاقة المسلمين بأهل الكتاب"[١].

وقد يدلُّ على تلك القراءة السياسـية أنَّهم يحاولون أن يَزعموا بأنَّ القرآن سرقَ القَصـص القـرآني اليهودي، ومن ثَمَّ يتَّخذون مـن ذلك مطيّةً للقول بأنَّ المسـلمين سـارقون، ثم ينطلقون إلى النتيجة التي يُريدونها، وهي أنَّه بما أنَّ القرآنَ سرق القَصص فالمسلمون سارقون، وقد سرقوا الأرض التي يعيشون عليها، وأنَّها أرض اليهود التي اغتُصبت منهم منذ قرون. بما يعني أن محاولاتهم الفاشـلة في ادِّعاء سرقة القَصص القرآني للقَصص التَّوراتي ليسـت هدفًـا في ذاتها، وإنَّما مطية لأهداف سياسـية يحاولـون بها تأكيد قضية الوجود المزعوم.

---

١ - أحمد البهنسي: الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف.

ويُمكننا القولُ إنَّ موقف الاستشراق "الإسرائيلي" المعاصر يُعدُّ امتدادًا للموقف اليهودي الذي اتَّخذه المستشرقون اليهود الذي لم تمَنعْنا جنسياتُهم الأوروبية من كشف الأهداف اليهودية التي يَنطلقون منها. ويَرى أحدُ الباحثين أنَّه إذا كانت هناك ثلاثة عوامل رئيسة سيطرت على اتِّجاهات الحركة الاستشراقية، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي تحديدًا: التَّنصير والاحتلال والصهيونية، فإن الأخيرة استطاعَت أن تُكيِّف الأوَّلَ والثاني لتحقيق أغراضها؛ إذ لا يُؤثِّر على الصهيونية أن يَنتصر العالَمُ الإسلاميُّ كلُّه، كما لا يُؤثِّر عليها أن تحتلَّ القوى الاستعماريةُ الشَّرقَ كلَّه، ما دام الاتِّفاق بين هذا الثالوث على تحقيق الاحتلال اليهودي لفلسطين قائمًا[1].

كلُّ تلك القراءات وغيرها تقوم على قراءة مُتعصِّبة للمصادر الإسلامية، بقصد التَّهوين من قيمة ما تُقدِّمه في تغيير مسار التاريخ الإنساني، ويمُكن فهم هذه القراءة وفق تقسيم الغرب للشعوب الغربية على أنَّها جنس آري، ووفق التقسيم اليهودي للشعوب، حيث ادَّعَوا أنَّهم شعبُ الله المختار، وهذا ما جعل الغرب يَتبنَّى تفسير تاريخ العالم ومعتقداته وفق نظرة الأفضلية التي يُغذِّيها هذا التقسيم، باعتبار أنَّهم أفضل الشعوب قاطبةً، وأنَّ غيرهم في مُؤخِّرة الأجناس والأمم، وهذه النَّظرة الفَوقيّة التي أتَت

١ - انظر محمد جلاء إدريس: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، ص ٨٥.

بالاحتلال والوصايا على الدُّول؛ لأنَّها وفق هذه النظرة مجبولة على العوار والنَّقص[١]. والهدف من ذلك "إضعافُ مُثُلِ الإسلام وقِيَمه العُليا من جانب، وإثبات تفوُّق المُثُلِ الغربية وعظمتها من جانب، وإظهار أيّة دعوة تَدعو للتمسُّك بإظهار الإسلام بمظهر الرَّجعية والتَّخلف"[٢].

تلك النَّظرةُ ألقَت بظلالها على قراءة المستشرقين للنَّص القرآني، فجعلَتْه إما سائرًا في محاكاة العهد الجديد وفقَ النَّظرة الغربية الاستعلائية، أو مُقتفيًا أثرَ العهد القديم وفق النَّظرة اليهودية الفوقية الانتقائية. وهذا ما جعل التعصُّب ظاهرًا بصورة لا يُمكِن نكرانُها في دراساتهم حول هذا النصِّ، دون أن يُكلِّفوا أنفسَهم مؤونةَ البحث عن الخصائص التي يتميَّز بها النَّصُّ القرآنيُّ، ليحكموا بأهميته وأثره، أو عن وحدوية المصدر الذي جاء منها هذا النَّص عامة.

هذه القراءة السياسية لا نُغفلُها منذ نشأة الدراسات الاستشراقية ذاتها، فقد كان للاستشراق منذ بداياته الأولى قراءات سياسية بُنيت على غاية سياسية، قوامُها الاستيلاء على الشَّرق فكريًّا وعقليًّا جنبًا إلى جنب مع الحركات الاحتلالية، ثم استمرَّت هذه القراءة بدورها إلى الآن، بعد انتهاء مرحلة

---

١ - عبد القادر بخوش: مناهج الاستشراق المعاصر في الدراسات الإسلامية، ص.ص. ٣١١ - ٣١٣.

٢ - عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية، ص٩٩.

الاحتلال العسكري، التي بدأت أولى خطواتها مع الحروب الصليبية.

ولنا أن نقول إنَّ كلَّ ما يتعلَّق بنقد النَّص القرآني وعلومه في الاستشراق المعاصر، ومن قبله الاستشراق القديم، هو في التحليل الأخير يصبُّ في بعض جوانبه في القراءة السياسية، فمن المعروف أنَّ الدِّراسات الاستشراقية التي تُشوِّهُ الإسلام يُعدُّ من أهم أهدافها -فضلاً عن أهداف أخرى- إضعافُ الجانب الرُّوحي والمعنوي في نفوس المسلمين، كي تقلَّ مقاومة هذين الجانبين، ومن ثَمَّ فإنَّنا نعتقد أن نقد المستشرقين للقرآن وعلومه وتاريخه المجيد كان موضوعًا من موضوعات إضعاف المقاومة الرُّوحية عند المسلمين، وهذه واحدة من وسائل السَّيطرة السياسية، بما يَعني أنَّ القراءة السياسية هنا كان من ضمن أهدافها تشويه الحقائق عند المسلمين بما يُقلِّل من الحماسة الدِّينية عندهم، فنَفقد ثقتنا في ديننا -وهذا مُحال- فنرتَمي في أحضان الغرب، فيسهل عليه السيطرة السياسية علينا. لا نقول إنَّ نقدَهم للنَّص القرآني هو الوسيلة الوحيدة التي يُحاولون بها تحقيق سيطرة الغرب السياسية، ولكنْ نقول إنَّه إحدى الوسائل ذات الأهداف البعيدة التي يَحلمون أن تَقود إلى هذا.

ولعلَّ المتأمِّلَ في كتاب (ديفيد باورز - David Powers) المعنون بعنوان: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم"، لا يَستطيع أن يَستشفَّ غيرَ هذا، فهذا المستشرق إنَّما يقوم بتسييس قصة زيد في القرآن، فينتقل من مجرَّد الحديث عن القصة في القرآن إلى نقدها بناء على قراءة سياسية لا

توجـد إلا في خياله، إذ تقوم قراءته السياسـية هذه على أنَّه يَجب ألا يكون للنبي ولدٌ، وإذا وُلد له ولدٌ فلا بُدَّ من أن يمَوت صغيرًا. (ديفيد باورز) يقول إنَّ سيِّدَنا محمدًا لم يعشْ له أولاد ذكور، بل ماتوا جميعًا صغارًا، ولم يَصلوا إلى مرحلة الشـباب أو الرجولة، وأنَّه تبنَّى زيدًا وكان محبوبًا لرسـول الله، وسُـمِّي زيدَ بن محمد، ثم ينطلق (ديفيد بـاورز) إلى ما هو أبعد من ذلك، بحيث يكشـف لنا عن حقيقة قراءته السياسـية هذه، فيَذهب إلى أنَّه لو كان لمحمد ابـنٌ لما كان النَّبيَّ الخاتم، كما أنَّه لـو كان النبيَّ الخاتم لما اتَّخذ ولدًا، مُدَّعيًا أنَّه لكي يَضمن محمدٌ مكانَه كنبي خاتم فإنَّه قام بالتخلُّص من زيد، عن طريق إرساله إلى معركة مؤتة[1].

وهذه قراءة سياسـية مـن الدَّرجة الأولى تَسـتند إلى شيء غـير واقعي، وهو أنَّ النُّبوةَ وراثةٌ، وأنَّه لكي يَضمن سـيدُنا محمد صفةَ النبي الخاتم فلا بـدَّ أن يتخلَّص من زيد، وهـذه القراءة تَفترض أنَّ النُّبوة منصبٌ سـياسيٌّ، وأنَّـه من لوازم هذا المَنصب السـياسي أن يتوارثه الأبنـاءُ كما كان يَحدث قديمًا، فالرَّبط بين النبوة والمُلك واضحٌ بشـدة في قراءة هذا المسـتشرق، فهـذا أوَّلُ مَلمحٍ من ملامح القراءة السياسـية للقَصص القرآني عند (ديفيد بـاورز)، والمَلمـح الثاني يَظهر في زعمه بـأنَّ النبيَّ الكريـمَ انتقمَ من زيدٍ

1 - David Powers: Muhammad Is Not the Father of Any of Your Men: The Making of the Last Prophet, p. 72.

بإرساله إلى الغَزوة ليموت، ومن ثَمَّ -بناءً على هذا الزعم- لا يَرِثُه، فيكون بذلك النبيَّ الخاتم على هذا الزَّعم غير الواقعي والمُجافي تمامًا للحقيقة، والمَلمح الثالث أنَّ هذا الفَهم يقوم على تقسيم ميراث الأنبياء قسمين: نسلِ إسحاق، ونسلِ إسماعيل، والأول على هذا الزَّعم له كلُّ حقوق الولاء والاعتراف بالنُّبوة، في حين يَنظرون للثاني على أنَّه محض افتراء، استكمالاً لفرية السيادة العالمية وشعب الله المختار، وهنا يَكمن السبب السياسي في رفضهم لنبوة سيدنا محمد وتَشويههم لها.

لكنَّ هذه القراءة تَسير في إطار النَّظرة العامة التي تَنظرها اليهودية عامّةً للأنبياء، فهي على الدَّوام تَنظر للأنبياء نظرة تَشنيع وتشويه ونقص، وهذه النَّظرة نجدها بارزة في سِفر صموئيل الثاني؛ حيث يقول: "وداود كان في المساء يَمشي على سطح قصره، فرأى امرأةً جميلة تستحمُّ، سأل عنها، قال أحدهم: هذه بثشبع بنت ألبعام امرأة أوريّا الحثّي، فأرسل إليها وضاجعَها، ثم رجعَت إلى بيتها حُبلى." [صموئيل الثاني: ١١ - ٢]. ثم "كتب داودُ مكتوبًا إلى يوآب بأن يَجعل أوريّا في وجه الحرب الشَّديدة؛ ليُضرَبَ ويمَوت." [صموئيل الثاني: ١١ - ٢]، وكأنَّه يَرمي إلى أنَّ النبي محمدًا فعل ما فعل من أجل الشَّهوة، وباعتباره في ظنِّ (باورز) مَلِكًا كما فعل داود، وهذا تشويهٌ كبير لنبيَّين كَريمين اصطفاهما الله تعالى لرسالته، لكنَّ هذه النَّظرة تُثبت أنَّ قراءة القَصص القُرآني عند باورز قراءة سياسية.

وهذه النَّظرة المنبثقة من العهد القديم ذاته هي التي اصطبغَت بها نظرةُ

اليهـود تجاهَ الأنبيـاء، ومن ثَمَّ فلا غرابة في أن ينظروا هـذه النَّظرة إلى نبيِّنا الكريـم؛ فهي نظرة تَرى في النُّبوة مُلكًا وجاهًا وسـلطانًا، يفعل من خلالها الأنبيـاء ما يَفعلـه الملوكُ، وتلك قراءة سـلطوية تنزع نزوعًا سياسـيًّا ماديًّا براجماتيًّا مرذولاً.

وهنـا يطرأ سـؤال ردًا على تلك القـراءة المزعومة التي يقـول بها (ديفيد باورز)، لو كان سيدنا محمد له رغبة في الزَّواج من زينب بنت جحش قبل زواجها من زيد، فلماذا لم يُصرِّحْ بذلك خاصة وهي ابنةُ عمِّه؟! لماذا يظلُّ هكـذا حتى يَتِمَّ زواجُه منها، ثم يُدبِّر له القتـلَ كما يَزعم (باورز)؟! فكيف يُعقَل أنَّ الرَّسـول انتقمَ منه لهذا السـبب؟! إذن فهـل هناك دليلٌ على كلام (باورز) هذا أو شـواهد تاريخية تُؤيِّدُه؟! الإجابة بالنَّفي، فقراءتُه هنا مُجرَّد اسـتنتاجات لا تستند إلا إلى هوًى، ورغبة في قراءة قصة زيد قراءة سياسية تَنظر لسيدنا محمد على أنه طالب جاهٍ وسلطان ماديٍّ وليس نبيًّا.

إنَّ هذه القراءة السياسية التي قام بها باورز هي قراءة مردودٌ عليها بالدَّليل، فلقد عرض زعماءُ قريش على سـيدنا محمد الجاهَ والمُلك والسـلطان في مقابل أن يَتنازل عن النبوة والرسـالة فرفضَ، ولو كان طالبَ جاهٍ أو سلطان سـياسيٍّ لما رفـضَ هذا العرضَ المُغري منهم، لكنَّ هـذا كان دليلاً ناصعًا عـلى أن النبـوة ليس مُلـكًا، وأنَّه لا تجتمع الرسـالة الإلهية مع الشَّـهوات المادية، وأن سيدنا محمد نبيٌّ لا ملكٌ، رسولٌ لا طالب سلطان.

وفي هذا السِّياق فإنَّ الدراسات الاستشراقية عن القرآن -إلا القليل منها-

والتي يقوم بها المستشرقون المعاصرون في الغرب، يُقيمونها على قراءتين مزدوجتين: قراءة عقدية، وقراءة سياسية، حتى وإن ظهرت القراءة العقدية للوهلة الأولى ولم تظهر القراءة السياسية، فإنَّ الأخيرة حتمًا تظهر ولو من بين ثنايا السُّطور، ونحن قد نبذلُ مزيدًا من الجهد حتى تتبيَّنَ لنا هذه القراءة الأخيرة ونقف عليها عند هؤلاء المستشرقين، وهذه الدِّراسات الاستشراقية تتَّخِذُ من نقد القرآن أو علومه أو تاريخه -سواء في كتابات خاصة، أو عن طريق دراسته ضمن موضوعات قرآنية أو إسلامية أخرى- مطيّة لتحقيق أهداف عقدية سياسية في آن واحد.

لا ندَّعي كذبًا إذا قُلنا إنَّ الغاية السياسيّة كانت مُحرِّكًا في كثير من الأحيان لبعض مُترجمي القرآن تجاه ترجمة الكلمات على نحو مُعينَّ يَخدم اتِّجاهَهم ومُيولَهم السياسيّة. ويَظهر هذا الاتِّجاه أشدَّ ما يكون وضوحًا عند المستشرق اليهودي (أوري روبين) الذي كان يحاول التَّرسيخ للكيان الإسرائيلي من خلال شرعنة وجوده، مُترجِمًا بعضَ الآيات ترجمةً تَسير في هذا التيار، وهذا ما ظهر على سبيل المثال في ترجمته لقوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ...**﴾ [المائدة: ٢١]، وقد سبقَ أن بيَّنا ظهور اتِّجاهه السياسيّ في ترجمة هذه الآية.

وفي سبيل هذا الاتِّجاه أو هذه الغاية راح (روبين) يتلاعب بلغة القرآن ويفسّرها تفسيراً يخدم الكيان الإسرائيلي سياسيًّا، ثمَّ يَنقل هذا التَّفسير المغلوط في ترجمته لمعاني ألفاظ القرآن الكريم. وهنا يمُكِننا القولُ إنَّ لغة

النصّ القرآنيّ في ترجمة (أوري روبين) تعرَّضَت لتشـويه متعمَّد خاصة في تلك القضايا التي كان يتَّخذها مَنفذًا لتمرير أفكاره السياسيّة وآرائه في قضيّة استحقاقيّة الوجود على الأرض، لكنَّ هذه الغاية كانَت تَصطدم على الدَّوام بالتفاسـير الأربعة التـي اعتمدها (روبين) مرجعًا لترجمته، وهي التفاسـير التـي لم تُمكِّنْـه من تحقيق هذه الغاية في ترجمتـه إلاّ بالتَّخلِّي عنها، وترك المجال لهـواه ليَكون مُنطَلَقَـه في العديد من الآيات التـي وجَّهها توجيهًا سياسيًّا، وهذا ما حدث بالفعل.

وقد تلاعب روبين ببعض ترجماته للقرآن لغايات سياسية، من ذلك مثلاً ترجمته لقول الله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: ٢١]، فترجم (روبين) هنا كلمة "كتبَ" بما يَخدم فكرتَه اليهوديّة السياسية، وليس بما يَخدم الترجمةَ ذاتَها، فقد علَّق في الحاشية مُترجمًا الآيةَ قائلاً: "هذه الأرض التي وعدَها لهم اللهُ"[1]. وهذه الترَّجمة التَّفسيريّة التي يُقدِّمها روبين تُبنى على مغالطة واضحة؛ لأنَّ معنى الآية هنا هو: ادخلوا الأرض التي فرضَ اللهُ تعالى عليكم دخولَها. وما بين الفعل (وعدَ) الذي اختاره روبين، وبين (فرضَ) الذي هو رأي المفسّرين المسلمين بونٌ شاسع،

١ - انظر: ناصر الديـن أبو خضير: ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية.. ترجمة روبين نموذجًا، ص ٨٨.

فالفعل وعدَ يحمل معنى الهبة أو العطيّة، ولذا اختاره روبين - في مغالطة فجّة - ترجمةً للفعل كتبَ، محاولاً أن يُرسِّخ للوجود اليهوديّ في إسرائيل، أو أنْ يَضع سندًا تاريخيًّا له، وهكذا أملَت دوافعُ سياسية هنا -بجوار دوافع عقدية بالطَّبع- على (روبين) أن يُشوِّه اللُّغةَ العربيَّة من جانب، ومضمونَ النصِّ القرآنيّ من جانب آخر.

قد يُقال إنَّ (روبين) اعتمد في ترجمته هذه على التفاسير الأربعة المعتمدة لديه، والتي يَذهب فيها أصحابها إلى تفسير الفعل (كتب) من عدّة وجوه منها: ما ذهب إليه (روبين) في ترجمته، بيد أنَّه تغافل عن الوجوه الأخرى، كما أنَّه تغافل عن الشُّروط التي وضعها مفسِّرٌ كـ (ابن الجوزي) لتكون هذه الأرض لهم[1]، وكان عليه -حسب ما تَقتضيه الأمانة العلميّة- أن يَذكرَها؛ لكنَّه اختار ما يوافق عقيدتَه اليهوديّة، دون أن يُبيِّن هذه الوجوه أو تلك الشروط.

وهذه الغايةُ السياسية لا نَعدمها عند المستشرق الإسرائيلي (شالوم زاوي) في كتابه: "مصادر يهودية في القرآن"، فقد غلبَ عليه الطابعُ السياسي؛ إِذْ

---

١ - يذهب (ابن الجوزي) في زاد المسير إلى أن في معنى "كتب" جوابين: أحدهما أنه إنَّما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصَوا حرَّمَها عليهم، والثاني أنَّه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يَعنِ موسى أنَّ الله كتبها للذين أُمروا بدخولها بأعيانهم. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص٣٧١. ويذهب الجلالان في تفسير الجلالين إلى أنَّ قوله: (كتب الله لكم) أي أمركم بدخولها. انظر: جلال الدين المحلي؛ وجلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص١١١.

هدفت معظمُ الكتابات الاستشراقية "الإسرائيلية" حول القرآن الكريم إلى خدمة "إسرائيل" ككيان سياسي وتبرير وجوده بالمنطقة، وهو ما برز في كتاب (شالوم زاوي) سالف الذِّكر من خلال تأكيد مُؤلِّفه بمقدمته على أنَّه سيَسعى لدعم الحوار بين المسلمين واليهود وبين العرب ودولة إسرائيل، من خلال إعادة تفسير القرآن وإصلاح المناهج والنَّظريّات الإسلامية بشكل يُثبتُ حقَّ اليهود، وإبراز دعوة محمد الحقيقية في صورتها العالمية وأساسها التَّوراتي، مما قد يُؤدِّي إلى إنهاء الحروب الدِّينية بعد أن تتحقَّقَ نبوّة أنبياء العهد القديم[1].

٥ - الغاية السياسية عند (برنارد لويس)

هناك دراسات استشراقية يهودية معاصرة يَغلب عليها الغاية السياسية بوضوح، وفي رأينا هي تَتماشى مع التوجُّه العالمي الذي يَنظر للإسلام نظرةَ ازدراء، ويَعمل على إضعافه سياسيًّا، واستنزاف خيراته وثرواته، كما أنَّه يصبُّ في إطار الإسلاموفوبيا التي نرى أنَّها ذات توجُّه سياسيٍّ عالمي تجاه الإسلام والمسلمين. وفي هذا السياق نَفهم توجُّه (برنارد لويس)، فـ (لويس) تناول بعضَ القضايا القرآنية، ومن أهمها الرِّواية القرآنية، لكنَّه لم

١ - انظر أحمد البهنسي: كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمستشرق شالوم زاوي - عرض وتقويم. وأحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي - الإشكالية السمات الأهداف"، ص٤٧١.

يَتناوَلْها في كتاب خاصٍّ، وإنَّما نجدها متفرِّقةً في عدد من كتبه، ويَهمُّنا هنا موقفُه من الرِّواية القرآنية التي زعمَ اقتباسَـها من العهد القديم[١]، فهو يَزعم أنَّ النبـيَّ الكريـم وقع تحت تأثير اليهودية والنصرانيـة، وأنَّ الرِّواية القرآنية تَـشي بأنَّه قد أخـذ معلوماتِه ومعارفَه حول هذا القَصـص من التُّجار الذين استقَوا معلوماتهم بدورهم من المدراشيم والأبوكريفية.

وإذا علمنا أن (برنارد لويس) هو مهندس خريطة تقسـيم الشَّرق الأوسط لغايات سياسـية تصبُّ في مصلحة اليهود والصهيونية، فإنَّنا نُدرِكُ بذلك أنَّ نقدَه للرِّواية القرآنية والادِّعاء باقتباسها من العهد القديم ما هو إلا حلقة من حلقات القراءة السياسـية التي أكَّدنا عليها، فهـو صاحب "نظرية الفوضى الخلاقة"، وضرب بعضِ البلدان العربية خدمةً لهذه الغايات. هذا المستشرق اليهودي عمد إلى تضليل سياسـات النِّظام الغربي وخاصة الأمريكي تجاه الدُّول العربية والإسلامية، فكان عاملاً من عوامل تأجيج النِّيران، مما جعل هذه الأنظمةَ تتَّخذ خطواتٍ عقابيّةً تصبُّ في صالح الكيان الصهيوني.

ولعلَّ المتأمِّلَ في كتابات هذا المسـتشرق يَلمسُ كمَّ الحقد والكراهية التي يُكنِّهـا للعرب والمسـلمين، خاصةً بعدما تحوَّل من مجـرَّد باحث في التاريخ الإسـلامي إلى صهيوني متطرِّف يريد أن يَنسف كلَّ ما هو عربيٌّ وإسلامي من

---

١ - انظـر: مازن مطبقاني: الاسـتشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسـلامي .. برنارد لويس نموذجًا، ص١٢٧.

الوجود، بدليل أنَّه أراد أن يُعامِلَهم الغربُ كبدوٍ رُحَّلٍ وقبائل متناحرة متقاتلة[١]، ومن ثَمَّ فإنَّ الحرية على زعمه ليست لهم. ولعل جذوره اليهودية المُتعصِّبة هي التي دفعته لاتِّخاذ هذا المَسلك المتصهين، فقد وُلد في بريطانيا لأسرة يهودية في عام ١٩١٦م، "وبدأت عليه ملامحُ حُبِّه للُّغات والتاريخ، فاهتمَّ في سنٍّ مبكرة، وتحديدًا في الحادية عشرة من عمره، بدراسة اللُّغتين العربية والعبرية، ثم الأرامية، ومنها انتقل إلى اليونانية والفارسية واللاتينية والتركية. ارتاد جامعة ويلسون والجامعة التِّقنية وتابع دراساته العليا في جامعات لندن وباريس"[٢]. وقد بدأ حياتَه العملية بالمشاركة في حياكة الدَّسائس ضدَّ العرب؛ خدمة لأهداف غربية ويهودية لديه؛ حيث "عمل لمدة في وزارة الخارجية البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية في اللجنة العربية-البريطانية المشتركة. وهي وكالة استعمارية تعمل على إضعاف العالم العربي والحفاظ على التفوُّق البريطاني عليه. درس لمدة ثلاث سنوات في كلية الدِّراسات الشَّرقية الإفريقية في جامعة لندن. وانتقل في عام ١٩٧٤ من جامعة لندن إلى جامعة برينستون."[٣].

ويُعدُّ تاريخ (برنارد لويس) شاهدًا على ما اقترف من آثام ضدَّ العرب

---

١ - انظر: برنارد لويس: العرب في التاريخ، ص.ص. ٢٥ وما بعدها.

2 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

3 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

والمسلمين، فهذا المستشرق بدأ العملَ في اللَّجنة العربية البريطانية المشاركة التابعة لوزارة الخارجية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وهذه اللَّجنة كان هدفُها الرئيس استنزافَ خيرات العرب والمسلمين وإضعاف شوكتهم؛ حتى يسهل على بريطانيا السَّيطرة عليهم. بما يعني أنَّ أهدافه السياسية كانَت ظاهرة من الوهلة الأولى، لكنَّه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتَّجه اتِّجاهًا سياسيًّا آخر لخدمة الأهداف السياسية الاستعمارية واليهودية، إذ عمد إلى دراسة العالم الإسلامي في دول الشرق الأوسط، فكثرت مؤلَّفاته من كتب وأبحاث ومقالات عن التاريخ العربي والإسلامي وقضاياه، فتلقَّفَته يدُ الغرب بالعناية والاهتمام؛ خاصةً أنَّه ينطلق من منهجية وغايات يَرتضيها الغرب؛ لأنها تصبُّ في مصلحته وتحقيق أغراضة الدَّنيئة والخبيثة.

وقد كتب مجموعة من الكتب التي عدَّها الغربُ مرجعَه لفهم العرب والمسلمين، وهي: "العرب في التاريخ" سنة ١٩٥٠م، و"الشرق الأوسط والغرب" سنة ١٩٦٤م، و"الشرق الأوسط" ١٩٩٥م. وقد شكَّلَت هذه الكتب وغيرها وعيَ الغرب المُضلَّل نحو الإسلام والعرب بصورة راسخة، وصار (برنارد لويس) القاموس المرجعي لكلِّ ما هو إسلامي عندهم.

والأكيد أنَّ هذا المستشرق اليهودي الصهيوني المعاصر كان يقف في معالجته لتاريخ العرب والمسلمين عند بعض الجوانب غير المُضيئة

-بدَعوى أنَّ ما يَطرحُه ليس تأريخًا للعرب بقدر ما هو محاولة في التأويل[١]- ويُثير حولَها هالة، ويَعمد إلى تضخيمها؛ حتى يُصوِّرَ للعالم الغربي أن هذا هو الإسلام، "... وعلى هذا، سعَى (برنارد لويس) فيما كتبه إلى التَّركيز على جزء من تاريخ الإسلام الذي كانَت تروج فيه أفكار الانزواء وممارسة الطُّقوس الصوفية والعرفان البعيد عن الاجتماع وعن السياسة. ولم يُخفِ لويس تأييده الواضح والصَّريح لكلِّ الحملات الصليبية، ويَرى أنَّ الاعتذار عن هذه الحملات هو مَحضُ حماقة. وكان له أبحاث مُعمَّقة حول الفِرق المختلفة في العالم الإسلامي. نال شهادة الدكتوراة على رسالته حول 'ظهور الفرقة الإسماعيلية'. ومن الموضوعات الأخرى التي جذبته كان الوضع التاريخي والاجتماعي لليهود في المجتمعات الإسلامية"[٢].

ويُمكِنُ القولُ إنَّ أبحاثه ودراساته كانَت تنطلق من إسداء خدماته لليَهود والكيان الصهيوني في فلسطين المحتلّة، ويَكفي أن نعلم أنَّه بعد قيام دولة الكيان الغاصب تحوَّلَت دفّةُ أبحاثه إلى دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدُّول العربية والإسلامية المحيطة به. بل إنَّها في جزء منها كانت تَعمد إلى محاولة هدم وتفكيك الإمبراطورية الإسلامية؛

١ - انظر: برنارد لويس: الإسلام في التاريخ .. الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط، ص٥.

2 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

كونهـا كانـت شـوكةً في حلق الكيـان الصهيـوني والغرب، وحتـى يَفقد المسلمون أيَّ رابطة يتجمَّعون تحت لوائها.

لقد كان هذا المستشرق ذا منهج خاصٍّ في التاريخ العربي والإسلامي[١]، واسـتفاد من دراسـته له في تحقيق أهداف وغايات سياسـية تُمكِّن للكيان الصهيوني سياسـيًّا في الأرضي المحتلة، حيث اسـتفاد من سـقوط الدُّول والإمبراطوريات الإسـلامية عبر تاريخها بسـبب الانشقاقات والاختلافات المذهبيـة والعقديـة، فأوحى إلى صُنّـاع القرار في الغـرب وخاصة أمريكا بتقسيم العالم العربي والإسلامي بناءً على هذه الاختلافات من خلال كُتب تُمهِّـد لهذه المرحلة[٢]، حتى يضعفه ويجعل دُولَه المُنفصلة المَعزولة لقمةً سـائغة في فمِ الكيان الغاصب، وهذا ما نَراه الآن ويترسَّـخ في أذهاننا يومًا بعد يوم.

وقد كشف (برنارد لويس) عن مُخطَّطه أوَّلَ ما كشف في النّمسا داخل منظمة بيلدربـرغ، وذلك عام ١٩٧٩م، مُسـتغِلاً وجـود أرباب السِّياسـة والاقتصاد القائمين على أمر المؤتمر، حيث طرح فكرة التَّقسيم على أساس البُعد اللُّغوي والبُعد المذهبي والبُعد الجغرافي والبُعد العرقي، ومن ثَمَّ كانت دعوته الخبيثة

---

١ - انظـر: صبحـي عبد المنعم محمد: "المسـتشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسـة التاريخ الإسلامي"، ٤٩١.

٢ - انظـر: برنـارد لويـس: "الإيمان والقـوة، الدين والسياسـة في الشرق الأوسـط"، ص.ص. ٤، ٢٧، ٥٧،....

إلى الـدُّول المشـاركة في المؤتمـر وأهمهـا بريطانيا بضرورة دعـم الأقلِّيّات كوسـيلة ناجعة للوصول إلى مرحلة التَّقسـيم. وقد بدأت بوادر هذا التَّقسـيم تظهر في بعض البلدان العربية؛ تنفيذًا لهذا المُخطَّط المرسوم منذ عقود.

وهنا يَطرأ سؤالان:

الأول، هل كان هذا التَّقسم مُنصبًّا على البعد السياسي؟

الثاني، كيف يخدم هذا التَّقسـيم الأبعادَ العقدية والسياسية اليهودية التي رسمَها هذا المستشرق في مُخيِّلته؟!

للإجابة عن السُّؤال الأول يمُكنُ القولُ إنَّ هذا التَّقسيم لم يكن تَقسيمًا ذا أبعاد سياسية فقط، بل كانَت له أبعادٌ أُخرى: اقتصادية، تَهدف إلى السَّيطرة على مناطق التفوُّق العربي المُتمثِّلة في آبار النفط والبترول والمناطق الغنية بالمـوارد الطبيعية وأخصهـا المعادن، وديمغرافية تهـدف إلى إعادة توزيع السكان حسب الاختلافات المذكورة سابقًا لتسهيل عملية التقسيم.

فيـما يمُكن القولُ إجابةً على السُّـؤال الثاني إنَّ هـذه الأبعاد تَخدم دولةَ الكيان؛ لأنَّه مع وجود وطن عربي وإسـلامي مُقسَّـم ومُفكَّك ومَنزوعة منه مصادر قوته، فإنَّ هذا الوَضع يَضمن لهذه الدولة الغاصبة أن تكون مُتفوِّقة، وتأمـن ويأمـن الغرب وأمريـكا معها من خطـورة اتِّحاد المسـلمين الذي سيكون حينها وبالاً عليها وعليهم.

ليس هذا فحسـب، بل إنَّه "ومنذ سـنوات السبعينيّات من القرن الماضي أقام (برنارد لويس) علاقاتٍ قويـةً مع المحافظين الجُدد في أمريكا، حيث

يُعدُّ من أهمِّ وأبرز مستشـاري ومُلهمي الرَّئيسـين بوش الأب وبوش الابن. فسَـوَّقَ للكثير من أفكاره وسُـمومه الأيدلوجية لحكومة بوش حول قضايا "الشرق الأوسـط" والحرب على الإرهاب، حتى إنَّه اعتُبر مُنظِّرَ سياسـات الهَيمنـة والتسـلُّط والتدخُّل الأمريكية في المنطقة. كما شـارك في التفكير الإسـتراتيجي لاحتلال العراق، ونقلت إحدى الصُّحف الأمريكية حضورَه المُكثَّف مع بوش وديك تشني في أعقاب أحداث سبتمبر، وعرض موضوع احتلال العـراق من منظور 'صراع الحضارات' و'الإرهاب الإسـلامي'"[١].

وعلى الرغم من محاولة إنكاره هذا الأمر إلا أنَّ كلماته تَفضحه عندما يقول عن مُهمَّته بأنَّها تنحصر في "توفير المعلومات الأساسـية كبعض التفاصيل والمعلومات التي يتمُّ أخذُها في الاعتبار عند صنع القرارات السياسية"[٢].

هذا يَعني أنَّ المسـتشرق (برنارد لويـس) أدَّى واجبَه على أكمل وجه من وجهة النَّظر الغربية الأمريكية؛ خدمةً لأغراضه اليهودية والصهيونية الخبيثة، ولا نكاد نجد مستشرقًا له دور سياسي بارز مثلما نجد لـ(برنارد لويس)، إذ لا تُعدُّ جهودُهم السياسـية الخادمة للصهيونيـة العالمية بمثل نظيرتها عند هذا المسـتشرق، وقد عبرَّ (برنـارد لويس) عن انتمائـه الصهيوني المُدافع

1 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

٢ - برنـارد لويـس: هوامش على قرن مـضى .. خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسـط، ص٣٤١.

عن دولة الكيان الغاشـم، عندما ذهب إلى أنَّ الإنسان ذا الإرادة الحسنة لا يسـتطيع إلا أن يكون مُعاديًا للعرب، مُنتميًا لإسرائيل. يَكفي اعترافُ رئيس وزراء الكيان الغاصب المدعو نتينياهو الذي بعث ببرقية تعزية بوفاة المؤرخ (برنارد لويس)، وقال فيها: إنَّ إسرائيل سـتعتزُّ دائمًا بدفاع لويس الشُّـجاع عنها، وأشار إلى أنَّه كان له شرف مقابلته عدة مرات على مرِّ السَّنوات[١].

وهـذا الانتـماء للصهيونيـة الذي أبـداه (برنـارد لويس) أكَّـده الباحث البريطاني (جودفري جانسـن - Godfrey H. Jansen) في كتابه: "الإسلام العسـكري - Militant Islam" عندمـا قـال: "لويـس مُدافـعٌ مُتحمِّـس لتلـك الدولـة 'إسرائيل' الى درجة أنَّه قدَّم شـهادته للدفاع عنها أمام لجان الكونجـرس الأمريكي. ألا يجب أن يُؤثِّر هذا الموقف السـياسيُّ في رأينا في موضوعيتـه العلمية عندما يَكتب عن دولـة معادية جدًّا 'لإسرائيل'"[٢]، كما أنَّ طائفة كبيرة ممَّن درسـوا إنتاج الرجل ومواقفَه وآراءَه على علم بهذا الانتـماء الصهيـوني الذي لم يُخفِه هذا المسـتشرق، ومن ثَـمَّ نجد منهم مـن يقول: "ثم إنَّ هذا المسـتشرق (برنارد لويس) الـذي يُصرُّ على صدق آرائـه قد يكـون محاميًا ممتازًا. ولكنَّه في الوقت نفسـه لا يكون إلا قاضيًا

1 - https://mukhtaraat.palestine-studies.org/ar/node/10747

٢ - انظـر: مازن المطبقاني: الاسـتشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسـلامي، ص٣٦٢.

فاشـلاً. ولما كان هذا المسـتشرق يَشـغل منصبًا جامعيًّا فكان أولى به أن يَختار التاريخ أو في الأقل الصِّفة الملاصقة له، وهي: الحقيقة."[١]، ومنهم من أشـار إلى هذا الانتماء بقوله: "لقد كشـف (لويس) عن هويته اليهودية الصهيونيـة المعادية للإسـلام والعرب بجلاء في السـتينيّات مما باعد بينه وبين الموضوعية والصدق، والغرض يُعمي ويُصِمُّ"[٢].

لكنَّنا لسـنا مع أحد الدّارسـين ممَّـن حصرَ موقف تأييد هذا المسـتشرق لليهـود في أنَّه ردُّ فعل لموقف العرب والمسـلمين من اليهود، وذلك عندما يقـول: "ونظر (برنارد لويس) في التاريخ الإسـلامي نظرةً اسـترداديةً فوجد العـربَ معادين لليهود عـبر التاريخ كلِّه ... لذلك فإنَّ الإسـلام العربي هو الحليف الطبيعي للشُّيوعية التوتاليتارية، وبينما تقف دولة إسرائيل بالمشرق نموذجًا فريدًا للدِّيمقراطية والتَّحديث ومقاومة الشيوعية"[٣]. ذلك أنَّ موقفَه كان موقفًا عقديًّا وسياسيًّا خادمًا للصهيونية العالمية ولدولة الكيان الغاصب في فلسـطين، فكيـف يحصر نمـوذج الديمقراطيـة في إسرائيـل ويحصر الشـيوعية في الإسـلام العربي؟! وكأنَّ الإسـلام لم يأتِ ليُحـارب كلَّ هذه الأفـكار الضّالة! فـأي منطق وأي عقل؟! بل يمُكِنُ القـولُ إنَّ نتائج (برنارد

١ - عبد اللطيف الطيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص١٤٠.
٢ - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص٣٦٢.
٣ - رضوان السيد: اليهودية والصهيونية في الاستشراق، ص٦٥.

لويس) كانت تتناقض في كثير منها مع ما توصَّلَ إليه المُفكِّرون الثِّقات، بل هي نتائج بالأحرى كانت خادمةً لتوجُّهه العام الذي يُوليِّ فيه وجهَه شطرَ الغرب والصهيونية العالمية، ويكفي دليلاً على ذلك رفضُه فكرةَ الرَّبط بين الاستشراق والاحتلال الغربي لبلاد الشرق؛ ردًّا على (إدوارد سعيد) وغيره ممَّن أثبتوا هذه العلاقة[١]. لكن (برنارد لويس) اتَّهمه بالتناقض عندما يَرى أن الرَّبط "بين علماء الاستشراق الأوروبيين والتوسُّع الاستعماري الأوروبي في العالم الإسلامي فيه تناقض"[٢]. الغريب في الأمر أنَّ من الباحثين العرب من انتقد (إدوارد سعيد)، مدافعًا عن الاستشراق بكلِّ قوة[٣]!

ومن ثَمَّ يَحقُّ لنا أن نقول إنَّ الاستشراق في أزمة[٤]، وهذا الأزمة هو الذي صنعَها ببُعده عن النَّهج العلمي السليم الذي يقود إلى إنتاج معرفة حقيقية، وليس معرفة مُزيَّفة غرضُها الانتصار للأفكار المُسبقة والتوجُّه السياسي والعقدي الذي يَدين به في الغالب؛ فلقد كانت الأفكار المُسبقة إحدَى الرَّكائز التي استند إليها المستشرق (برنارد لويس) في تعامُله مع الإسلام وقضاياه، ولذا فقد مارس نوعًا من الانتقاء الذي يقوم فيه بانتقاء بعض الرِّوايات التي يَنتزِعُها من سياقها التاريخي للاستدلال خطًا على أفكاره المُسبقة هذه،

---

١ - انظر: إدوارد سعيد: الاستشراق، ص٧.

٢ - برنارد لويس: هوامش على قرن مضى .. خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط، ص٢٧٩.

٣ - انظر: جلال صادق العظم: الاستشراق والاستشراق معكوسًا، ص٧.

٤ - انظر: أنور عبد الملك: "الاستشراق في أزمة"، ١٩٨٣م.

فضلاً عن استجلاب الفَرع والتَّغافُل العمدي عن الأصل، ويختار من الآراء شواذَّها ويُعرِضُ عن نقيضها مما لا يُحقِّق أغراضَه غيرَ العلمية، إضافةً إلى تَضخيم التفاصيل الصَّغيرة والإعراض عن الجوهري منها؛ رجاء ذلك، وأسوأ ما انتهجَه هذا المُستشرق هو التَّعميم، فيَطرح حكمًا عامًّا على بعض الحوادث، في إغفالٍ تامٍّ لقواعد المنطق وأُسسه الاستدلالية[1].

ثالثًا: نقد الغاية الثقافية غير الخالصة

يُقصَد بالقراءة الثقافية تلك القراءة التي تبحث عن قنوات اتِّصال بين الإسلام والكتب السابقة من خلال النصِّ القرآني أو مجال من مجالات العلوم الإسلامية كالتاريخ أو التصوُّف، بيدَ أنَّه يمُكِنُ القَولُ إنَّ هذه القراءة على نوعين: الأولى قراءة ثقافية غير خالصة؛ كونها تختلط بأهداف عقدية أو سياسية من قبل المُستشرق القائم على هذه القراءة، وهذه القراءة تتمثَّل في جهود المستشرقين اليهود "الإسرائيليين" بصورة بارزة. والثانية قراءة ثقافية خالصة، وهي تلك القراءة التي لا تختلط بأيّة أهداف أيًّا كان نوعُها باستثناء الهدف الثقافي، فهذه القراءة تَنظر للقَصص القرآني والتَّوراتي على أنَّه من مصدر واحد، ورغم هذا فلكل قَصص ملامحُه المُميَّزة التي

---

١ - انظر: برنارد لويس: أزمة الإسلام، الحرب الأقدس والإرهاب المدنس.. رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، ص١٣.

تَحكم بمصداقيّته كما في القرآن، أو عدم مصداقيّته كما ورد في رواية العَهد القديم. ومن ثَمَّ تَعمد هذه القراءة إلى تَثقيف القارئ أيًّا كانَت جنسيّتُه بحقيقة القضايا القرآنية وأهدافها السّامية، ويُعدُّ زعيم هذه القراءة المستشرق المعاصر موريس بوكاي.

قام بعضُ المستشرقين المعاصرين بدراسة القَصص القرآني في سياق عملية التَّبادل الثقافي والحضاري، بين المسلمين واليهود في العصور الوسطى، كما يَظهر عند المستشرقة الإسرائيلية (حافا لازاروس يافيه)[١]، حيث عمدَت إلى إبراز تأثير تفسير بعض القَصص القرآني أو تفسير أسماء بعض الشَّخصيات التي ورد ذكرُها في القرآن -ومن أبرزها عُزَير- على اتِّجاهات ومدارس نقد العهد القديم اليهودية في فترة العصر الوسيط، وما يَنسحب على ذلك من وجود حالة تبادُل ثقافي وحضاري وديني بين اليهود والمسلمين خلال هذه الحقبة التاريخية[٢].

وفي هذا السِّياق حاولَت أن تُبيِّنَ الاختلافات في قصة عُزَير بين القرآن من جانب والتَّوراة من جانب آخر، وأثر القراءة العربية في التبادل الثقافي، ولو كان من وجهة نظر المستشرقة -حسب فهمنا لقراءتها- في إطار

---

١ - مستشرقة "إسرائيلية" ألمانية، ولدت في ١٩٣٠، عملت كأستاذ للدراسات الإسلامية بالجامعة العبرية بالقدس المحتلة، لها كتاب بعنوان الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط.

٢ - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

الأعمال النقديــة المتبادلة، خاصّةً بعد تدخُّل القراءات الإســلامية للنَّص القرآني وتدخل أعلام اليهود في قراءة النص التَّوراتي، مما ولَّدَ تبادلاً معرفيًّا من نوع آخر حسب فهمها[١].

فكتــاب (حافــا لازاروس) يُعدُّ عرضًا لتلك الجهــود العلمية التي قام بها المســلمون في دراســة التَّوراة، ومن ثَمَّ فقد عمــدَت إلى الوقوف على آراء العلــماء المســلمين في الكتاب المُقدَّس، وبيان مناهجهــم التي انتهجوها في دراســته، وكذلك مصادر المعرفة الإســلامية به، وكيف تعاملوا مع هذه المصادر، مع التَّركيز على العطاء الإســلامي في هذا المجال، ومدى تأثيره في تطوُّر علم نقــد الكتاب المقدس في الغرب في العصر الحديث[٢]. كل ذلــك في إطار مــن البحث عن التبادل الثقافي بين الشــعوب؛ حيث كانت تعتقــد أنــه يجب النظــر إلى هذه الموضوعــات بنظرة جديــدة، فقد تكون العوالِمُ مختلفة، لكنَّها يمُكِنُ أن تكون مُتداخلة ومتشابكة[٣].

وفي السِّــياق ذاته تأتي كتابات المســتشرق الإسرائيلي (مائير بار آشير)[٤]

---

١ - انظر: حافا لازاروس يافيه: الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ص٧٥.

٢ - انظــر: محمد خليفة حســن: مقدمة ترجمة كتاب الإســلام ونقــد العهد القديم في العصر الوسيط، ص٥.

٣ - انظر: حافا لازاروس يافيه: الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ص ٥.

٤ - مســتشرق إسرائيلي مولود في ١٩٥٥م، أســتاذ في قســم اللغة العربية في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة. له اهتماماته بالقرآن والعقائد.

الأستاذ المُتخصِّص في اللُّغة العربية وآدابها بالجامعة العبرية بالقدس المحتلة، الذي عمد بدوره إلى إبراز تأثير قصص الأنبياء في العهد القديم والقرآن في التبادل الثقافي بين المسلمين واليهود في فترة العصر الوسيط أيضًا، حيث كتب دراسةً حملَت عنوان: أُسس التَّفاسير الإسماعيلية والفاطمية القديمة للقرآن، وذلك ضمن أبحاث تُعنى بتفاسير القرآن والعهد القديم خلال العصر الوسيط، صدرت في كتاب بالقدس عام ٢٠٠٧م[١].

إلا أنَّ هذه الدراسات في نظري وراءها أهدافٌ بعيدة، فهي تَرمي من طرف خفيٍّ من وجهة نظرنا المتواضعة إلى البحث عن سند تاريخي للتَّطبيع مع الكيان الإسرائيلي، ومن ثَمَّ كانت هذه القراءة الثقافية غيرَ خالصة كونها تُبنى على بُعد سياسي لا يُمكِنُ إنكارُه؛ إذ ما زال الكيان الإسرائيلي يحاول التَّطبيع مع الدُّول المحيطة التي تأبى ذلك، ومن ثَمَّ يَعمد إلى محاولة البحث عن مثل هذه الوسائل علَّها تُحقِّق أهدافَه البعيدة.

ومن أبرز القراءات الثقافية غير الخالصة قراءات (برنارد لويس) عن تاريخ العرب والإسلام وبعض العلوم الإسلامية، وهي قراءات تُظهر العلمَ والمعرفة، ولكنها تُبطن الغايات الخبيثة مُمثَّلةً في الانتصار لكلِ ما هو يهودي صهيوني. من ذلك أنَّه وهو يتحدَّث عن الحروب الصليبية لا يُخفي شماتتَه وعدم اعترافه بالجُرم الذي ارتكبَه حاملو الصَّليب من الغرب تجاه

١ - أحمد البهنسي: "الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف".

الشَّرق الإسلامي. "ولم يُخفِ لويس تأييده الواضح والصَّريح لكلِّ الحملات الصليبية، ويَرى أنَّ الاعتذارَ عن هذه الحملات هو مَحضُ حماقة"[١].

لقد كانت قراءات (برنارد لويس) التاريخية وغير التاريخية قراءات مُضلِّلة، ومن ثَمَّ فهي قراءات ثقافية غير خالصة، هذه القراءات طالَت التاريخ الإسلامي وحضارته وعلومه والدِّين الإسلامي قرآنًا وسُنةً، وشخصية النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم. ففي حديثه عن الدَّعوة الإسلامية الوليدة وتأسيس النبيِّ الكريم لدعائم الدِّين الجديد يقول زاعمًا -وكلماته تنفث حقدًا وكرهًا- "نظر القرشيُّون إلى بداية الدَّعوة على أنَّها غيرُ ضارَّة، ولذلك لم يَعترضوا عليها، وفي تلك المَرحلة من المحتمل أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن لديه فكرة عن تأسيس دين جديد، ولكن كلُّ ما في الأمر أنَّه أراد أن يأتي بوحي عربي (كتاب مُنزَلٍ بالعربية) كما أُنزِلَ على الشُّعوب السابقة كُتبٌ في لُغاتها"[٢].

ومن ذلك أنَّه يَزعم أنَّ الرَّسول حاشاه كان يُداهِنُ اليهودَ؛ حين زعم أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حاول التقرُّب من اليهود واسترضاءهم بتبنِّي بعض الشَّعائر التعبُّدية كصوم يوم عاشوراء "يوم كيبور"، والاتِّجاه في الصلاة نحو بيت المَقدس، ولكن اليَهود -كما قال (لويس)- رفضوا

1 - https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

٢ - مازن المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص ٢٦٣.

ادِّعـاءات النبيِّ الأمي، وعارضوه على المسـتوى الدِّينـي[١]. وهي دعاوى فاسـدة قال بها المسـتشرق (سـان كلير تيسـدال) من قبل[٢]، بما يَعني أن (برنارد لويس) لم يكن ذا أصالة في طرح هذا الزَّعم، بل سبقَه إليه نفرٌ ممَّن غلَّبوا بُعدَهُم العقديَّ على الأبعاد العلمية والمنطقية.

كـما أنَّ (برنـارد لويس) وقف موقفًا عدائيًّا من مرحلـة الفتح لنشر الدِّين الإسلامي، حين قال: "إنَّ المهاجرين فقدوا جذورَهم اقتصاديًّا، ولم يَكونوا يرغبـون في الاعتـماد كليًّا على أهل المدينة، فتحوَّلـوا إلى المهنة الوحيدة الباقيـة وهي السَّـلب والنَّهـب"[٣]! كما أنَّـه كان دائمَ التَّقليل مـن المُنجَز الحضاري الإسلامي؛ حيث يقول: "لم يعرف المسلمون سوى أربعة مهن: الحكومـة، والحرب، والدِّيـن، والزِّراعة. أما الصِّناعـة والتجارة فقد تُركت لرعايا الدولة غير المسلمين."[٤]!

هـذا كلُّه يَقودنـا إلى القول بأنَّ تلك القـراءة التي تُدعى ثقافيـةً عند (برنارد لويـس) لا تَحمـل من قِيَم الثقافة والمعرفة شـيئًا يُذكر، إذ إنَّهـا مُجرَّد قراءات مُوجَّهـة لخدمة أهداف عقدية يَبتغيها المسـتشرق، وتُبنـى على مجموعة من الافـتراءات التي لا تَثبت من الناحية العقليـة أو الدِّينية، والغريب في الأمر أنَّه

١ - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص ٢٨٧.
٢ - انظر: سان كلير تيسدال: المصادر الأصلية للقرآن، ص ١١٠.
٣ - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٤.
٤ - مازن المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص ٣٧٢.

وإن أقرَّ بوجود مساواة في تاريخ الدَّولة الإسلامية بين المسلم واليهودي أو غيره من المخالفين في الديانة، فإنَّه سرعان ما يَنتقص من هذا الأمر قائلاً: "واقعُ الأمر أنَّ المساواة في العهد الإسلامي القديم لم تكنْ تُحسَب على أنَّها استحقاق، بل كانَت تُعتبرَ إخلالاً بالواجب، إذ كيف يمُكنُ لامرئٍ ما أن يُقدِّمَ نفس المعاملة لأولئك الذين يتَّبعون العقيدة الصحيحة، ولأولئك الذين لفظوها بمَحضِ إرادتهم"[1]. وعلى الرغم من أنَّ الشواهد التاريخية التي ذكرها حول المساواة في الإسلام بين المسلم وغيره، والشواهد التي لم يذكرها، تُكذِّب ما انتهى إليه، إلا أنه كان دائمًا يحاول أن ينزع من التاريخ الإسلامي أيَّ قِيَم إنسانية، ليُلصقها فقط بدولة الكيان النموذج الأمثل في زعمه للديمقراطية.

وقضية الموازنة بين دولة الكيان والدُّول الإسلامية من حيث الدِّيمقراطية هي موازنة لخدمة هذا الكيان، وقضية الموازنة بينهما بشكل عامٍّ تحتلُّ إحدى مراتب الصَّدارة الفكرية عنده في قراءته الثقافية غير الخالصة، فقد اتَّهم الدُّول الإسلامية بالأصولية -وهي مفردة يَختلف مدلولُها الإسلامي عما يَفهمه الغربُ- في حين كالَ المديحَ لدولة الكيان المُغتصِب، ومما لا شكَّ فيه أنَّ العامل الرئيس في هذه الموازنة هو مصلحة هذا الكيان والذَّود عنه فكريًّا.

يقول مثلاً: "كيف سيُؤثِّر هذا في العلاقات بين إسرائيل وجيرانها؟ فالدِّيمقراطيات قد تُفاوِضُ ديمقراطياتٍ أخرى وتُساوِمُها، لكنَّ الأمر يكون

---

١ - برنارد لويس: اليهود في ظل الإسلام، ص١٨.

أصعبَ مع الأديان، ويبيت مُستحيلاً إذا كانت الأديان أُصولية. تتحوَّل تركيا الدِّيمقراطيــة تدريجيًّــا إلى شريــك إسرائيل الأقرب في المنطقــة"[١]. ومن الواضح أنَّها موازنة من نوعٍ خاصٍّ لها أهدافها التي هي بالأســاس أبعد من كونها ثقافية، بل تتعدّاها إلى كونها سياســية من الدَّرجة الأولى، خاصّةً أنَّه يَحكــم على ديمقراطية المنطقة بمدى تطبيعها مع هــذا الكيان، فإنْ قامت بالتَّطبيــع فهي دولة ديمقراطيــة، وإلا فهي تمــارس الأصولية على المعنى المَرذول الذي لا يتصوَّر هو والغربُ غيرَه.

وفقًا لتوجُّهات (تيســدال) العقدية والسياسية فإنَّه راح يَغوص في أعماق قضية التخلُّف الحضاري عند المسلمين، فوضع كتابًا أسماه: أين الخطأ؟! حاول فيه الإجابةَ عن تســاؤل: ما أســباب تخلُّف العرب عن الغرب؟ وأين يَكمن الخطأ؟[٢] لكنَّ الإجابات التي يَطرحها في الجزء الكبير منها مَحضُ افتراءات غلَّبَ فيها هذا المستشرقُ توجُّهَه الغربيَّ وانتماءَه اليهودي، خاصةً في تركيــزه على الدِّين الإســلامي، زاعمًا أنَّه ســببُ هــذا التخلُّف والعامل الرئيس فيه، والحقيقة أنَّ موقف هذا المستشرق لا يَختلف في قليل أو كثير عن غيره من المســتشرقين المُتعصِّبين الذي انطلقوا من أفكار مُســبقة عن الإسلام حاولوا أن يجدوا لها سندًا.

---

١ - برنارد لويس: مستقبل الشرق الأوسط، بيروت، ص٩٠.

٢ - برنارد لويس: أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ص٦.

الفصل الثالث:
الاستشراق اليهودي المؤسَّسي

أولًا: مراكز البحوث والدراسات الإسرائيلية

لا شكَّ في أنَّ الاستشراق اليهودي المعاصر يقوم بالأساس على مراكز البحوث والدِّراسات، وهذه المراكز البَحثية -التي تهتمُّ بدراسة العرب والمسلمين لمَرام عقدية وسياسية بالأساس- هي العلامة المُميَّزة في الاستشراق المعاصر عامّةً، حيث بدأ الغربُ واليهود في أذياله يَنتقلون من الاستشراق الفردي القائم على جهود فردية إلى الاستشراق المؤسَّسي الذي يَنتمي إلى مؤسَّسات مُعدَّة لذلك الهدف، وتَسير وفق خطّة مَوضوعة بدقّة؛ للوصول إلى مُبتغاها.

ومن ثَمَّ يمُكنُنا القولُ إنَّ مراكز البحوث والدراسات هي إحدى الأذرع المُهمّة في الاستشراق اليهودي المعاصر، من أجل السيطرة وبسط النُّفوذ على أرض الواقع من الناحية السياسية. ومن ثَمَّ لنا أن نقول إنَّ هذه المراكز تمدُّ دولةَ الكيان الغاصب بالمعلومات، وتَدفعها إلى اتِّخاذ القرارات والمَواقف بناءً على دراسة المنطقة والمناطق المحيطة بها.

ويمُكن تصنيف مراكز الفكر الإسرائيلية في أربعة اتِّجاهات بحثية أساسية، هي[1]:

---

١ - انظر: محيي الدين حداد: حروب الظل - كيف تساهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السياسي؟

- الأول: مراكز تُعنى بالشُّؤون الداخلية لدولة الاحتلال "الإسرائيلي"، مثل: "المعهد الإسرائيلي للدِّيمقراطية"، و"مركز طاوب"، و"مركز غوطمان للاستطلاعات"، و"مركز أدفاه"، و"معهد فلورسهايمر"، و"مركز الأبحاث والمعلومات" التابع لـ"الكنيست".
- الثاني: مراكز تُعنى بالأمن الاستراتيجي للعدو "الإسرائيلي"، مثل "معهد السياسات الاستراتيجية هرتسليا"، و"معهد دراسات الأمن القومي" التابع لـ "جامعة حيفا"، و"معهد أبحاث الأمن القومي"، و"معهد الاستراتيجية الصهيونية".
- الثالث: مراكز تُعنى بمجتمع الاحتلال "الإسرائيلي" والفلسطينيين داخل دولة الاحتلال، مثل: "معهد فان لير" في القدس، و"المركز اليهودي العربي" التابع لـ "جامعة حيفا"، و"مركز جفعات حبيبة".
- الرابع: مراكز تُعنى بدراسة دولة الاحتلال والشرق الأوسط وإفريقيا، مثل مركز "موشيه ديان"، و"مركز القدس لدراسات إسرائيل"، و"مركز شاليم"، و"مركز القدس للشؤون العامة"، و"مركز ترومان".
- وتعمل مراكز الفكر الإسرائيلية وفق مجموعة من الأُسس الفكرية والمُنطلقات السياسية التي لا يُمكِن أن تُهمِلَها أو تَحيد

عنها، وتتمثَّل هذه الضَّوابط أو الثوابت فيما يلي:

- الأولى: منطلقاتٌ تخصُّ المصالح القومية الإسرائيلية في مختلف المستويات، فعلى المستوى السياسي مثلاً: "التأكيد على عدم ظهور أيِّ قوة إقليميّة تُنافسها في المنطقة"، أما على المستوى الاقتصادي مثلاً: فـ"ضمان الحصول على أكبر قدر من الموارد من المناطق المجاورة، وتأمين خطوط المواصلات والتِّجارة".
- الثانية: منطلقات تخصُّ العقيدةَ العسكرية، مثل تصفية القضية الفلسطينية، وأمن إسرائيل القومي، ومواجهة أيِّ دولة أو كيان من المُمكن أن يُشكِّل خطرًا على أمنها ووجودها.
- الثالثة: ضرورة عمل مراكز الفكر من مُنطلَق وقناعة أن إسرائيل دولة قوية، مُصرّة على الحفاظ على مصالحها بأيِّ ثمن، ولها مجموعة من المبادئ والقِيَم تَسعى إلى فرضِها.
- وتُشكِّلُ مراكزُ الأبحاث "الإسرائيلية" عُمقًا استراتيجيًّا يتجلَّى في[1]:
- أولاً: القدرة على التكيُّف مع المُستجدّات الحاصلة في البيئة الداخلية والخارجية.

---

١ - انظر: محيي الدين حداد: حروب الظل - كيف تساهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السياسي؟

- ثانيًا: تطوير أفكارٍ لقضايا ومسائل عديدة ثم وضع حلول لها.
- ثالثًا: هذه المراكز تعتمد على نخبة بحثية مُتميِّزة وذات كفاءة عالية وتخصُّصيّة، ووفقًا لعمل كلِّ مركز. فمراكز الأبحاث قد رسَّمَت لنفسها ومن دون شكٍّ دورًا محوريًّا في صياغة السياسة العامة الإسرائيلية، لأنَّها أصبحت شريكًا استراتيجيًّا موثوقًا، فهي تتلقَّى دعوات رسمية بشكل دوري من طرف المُؤسَّسات الإسرائيلية مثل الكنيست، وتقوم بتقديم الشَّهادات والمَشورة والمشاركة في المُلتقيات والنَّدوات المُتعلِّقة بقضايا سياسية وأمنية.

هذا يَعني أنَّ هذه المراكز لها دورها المُؤثِّر في صناعة القرار، "حيث نجد الكثير من خبراء مراكز الفكر الإسرائيلية يَحظَون بنفوذ في أكبر مراكز البحث الغربية خاصة الأمريكية، ويتجلَّى ذلك في الاتصالات الوثيقة بين الباحثين الإسرائيليين ونُظَرائهم الأمريكيين والغربيين من أجل التَّرويج للأفكار. والتَّركيز الأكبر على هذا الاتصال ثنائي الاتِّجاه هدفُه إحداثُ تواصل مُثمرٍ لكلا الطَّرفَين، على غرار المشاركة في النشاطات العلمية الدّولية بهدف التَّرويج لمخططات إسرائيل السياسية والأمنية والعسكرية، واستقبال كبار خبراء مراكز الفِكر الأجانب عبر عَقد المؤتمرات والحلقات الدراسية وتنشيط النَّدوات والمُلتقيات، ونشر سلسلة من أوراق العمل وتأليف الكتب، وإقامة حوارات ذات بُعد استراتيجي مثل (هنري كيسنجر) و(نعوم تشومسكي) وغيرهم ممَّن لهم خبرة طويلة في أزمات

منطقة الشرق الأوسط. وبذلك فإن ممارسة الدبلوماسية الأكاديمية تفتح آفاقًا أوسع لحشد الرأي العام العالمي في سبيل تبرير سياسات إسرائيل التوسُّعية والاستيطانية في فلسطين المحتلة."[١].

ومن هنا نَفهم أنَّ الاستشراق الإسرائيلي المعاصر "يقوم على الاستشراق اليهودي، ويُؤطِّره في إطار علميٍّ ورسميٍّ مجموعةُ معاهد الأبحاث المُرتبطة بالجامعات الإسرائيلية، ومجموعة الدَّوائر البحثية العاملة في الوزارات ولحسابها، ومجموعة مراكز الدِّراسات في الأحزاب ونقابة العمّال في الكيان الصهيونيّ 'الهستدروت'، ومجموعة مؤسَّسات البحث 'الخاصة' المُرتبطة أو المُقارَنة مع جهات خارجيّة بشكلٍ رئيس"[٢].

وعلى الرغم من أنَّ المؤسَّسات الاستشراقية الإسرائيلية المعاصرة لا تقف عند حدود المؤسسات الحكومية، كما هو واضح، فإنَّه تاريخيًّا تَبقى المُؤسَّسات ذات الدَّعم الحكومي من أقوى المؤسسات الاستشراقية، ويمُكن التمثيل على ذلك بـ "جامعة أورشليم" و "جامعة تل أبيب" و"جامعة حيفا".

---

١ - محيي الدين حداد: حروب الظل - كيف تساهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية في حوكمة صناعة القرار السياسي؟

٢ - ربحي إسماعيل ربحي الهوارين: الاستشراق الإسرائيلي من ١٩٤٨ - ٢٠١٨ - دراسة وصفية تحليلية، ص٥.

أولًا- جامعة أورشليم: يَنضوي تحت لواء هذه الجامعة العديد من المؤسّسات الاستشراقية، أهمُّها[١]:

١. مؤسّسة الدِّراسات الشرقية: تَنشط هذه المؤسَّسةُ في مجال اللُّغة العربية وآدابها، والحضارة الإسلامية في الشَّرق، وفلسفة الدِّين، والفنّ والتاريخ الإسلامي.

٢. مركز بحوث اليهود: يَهتمُّ هذا المركز بالشؤون الثقافية لليهود، واليهود الساكنين في البلدان العربية والإسلامية. ويُقدِّم هذا المركزُ غالبيةَ دراساتِه على شكل كتب في مجال الاستشراق.

٣. مركز دراسات السلام والمَحبّة: تأسَّس هذا المركزُ في عام ١٩٦٧م في الجامعة العبرية، وأُطلق عليه اسم "مركز ترومان"، وأغلبُ دراسات هذا المركز يتمُّ تَصميمُها وتَنفيذها حول محور الحروب العربية الإسرائيلية.

٤. مركز دراسات التَّقريب بين اليهود والعرب (مارتين بوبر): وأغلبُ اهتماماته بالدَّرجة الأولى هي التَّركيز على النَّشاطات السياسية بين العرب واليهود. ويُعتبرَ هذا المركزُ حلقةَ وصل بين المؤسَّسات الحاكمة وسائر المراكز غير الحكومية التي تَنشط في هذا المضمار.

٥. مؤسَّسة الدِّراسات الشَّرق أوسطية: تختصُّ كلُّ جهود

---

١ - انظر: فاطمة جان أحمدي: "الاستشراق اليهودي هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب".

هذه المؤسَّسة بنشر دراسات وبحوث المُستشرقين الإسرائيليين في الشُّؤون الإسلامية والعربية.

ثانيًا- جامعة تلّ أبيب: تأسَّست عام ١٩٥٦م، وكانت تضمُّ عدّة كلِّيات في مختلف الفروع العلمية، وخاصّة العلوم الإنسانية، وتَشتمل على ٢٢ مركزًا للبحوث، وأهمُّ مراكز البحوث المرتبطة بها هي[١]:

أ. مركز بحوث الشَّرق الأوسط وإفريقيا: وتدور بحوث هذا المركز بنحوٍ عامٍّ حول دراسات الشَّرق الأوسط، وخاصّة البلدان الإسلامية. وعلى هذا الأساس هناك مراكز مرتبطة به في كلٍّ من: مصر، وسوريا، والعراق، والسُّودان.

ب. مركز البحوث الاستراتيجية: تأسَّس هذا المركز عام ١٩٧٧م، وله دورٌ هام في تَجميع المعلومات للمُؤسَّسات الحاكمة. وعليه فإنَّ معظم نشاطاته تَدور حول الاختراقات الأمنية في سائر بلدان المنطقة. ومن خصائص هذا المركز اعتمادُه على الكوادر الاستخبارية والأمنية الإسرائيلية.

---

١ - انظر: فاطمة جان أحمدي: الاستشراق اليهودي هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب.

ثالثًا- جامعة حيفا: انطلقت نشاطاتها رسميًّا عام ١٩٦٤م. وتضمُّ اليوم عشرين كلّية ومؤسَّسة بحوث مرتبطة بها، أهمُّها:

مركز دراسات الشَّرق الأوسط: الذي يختصُّ بالدِّراسات الاقتصادية والسِّياسية والتاريخية في الشَّرق الأوسط، ويَمتلك عدّة منشورات في مجال الأديان والمذاهب الإسلامية في العالم العربي، والآداب والتَّقاليد والرُّسوم، وبنحوٍ عامٍّ الثقافة الإسلامية في الشَّرق الأوسط[1].

ثانيًا: غايات هذه المراكز الاستشراقية

لا شكَّ في أنَّ المراكز البحثية الاستشراقية في إسرائيل مُتعدِّدة، وذات تَخصُّصات متنوِّعة، فهي ليست على الصَّعيد الفكري فقط، بها منها ما هو على عدّة أصعدة منها: الثقافي والسياسي والتعليمي والاجتماعي وغيرها، ويَنكشف الغرضُ منها بالنَّظر إلى عنوان هذه المراكز، بيدَ أنَّ الغاية الرئيسة من وراء هذه المراكز هي التَّمكين للمُخطَّط الصهيوني في الشرق الأوسط سياسةً وعقيدةً. فهذه الغاية هي بيتُ القصيد الذي تنطلق منه هذه المراكز،

---

١ - انظر فاطمة جان أحمدي، الاستشراق اليهودي هيمنة على الدراسات الإسلامية في الغرب، ترجمة عماد الهلالي، على الرابط التالي:
https://nosos.net/%D8%A7%D984%%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D982-%%D8%A7%D984%%D98%A%D987%%D988%%D8%AF%D98%A/

فعلى الرَّغم من تعدُّد تخصُّصاتها، وتعدُّد مراميها، فإنَّها تسعى في النِّهاية لهذه الغاية الرَّئيسة، وبناءً عليه فإنَّ هذه المراكز عبارة عن مصانع لطَبخ القَرارات السِّياسية التي تتَّخذها دولةُ الكيان الغاصب. فهذه المراكز تضعُ معلوماتها ودراساتها في متناول أصحاب القرار السياسي لوضع الخطط والبرامج والسياسات المستقبلية، فهي بمثابة مخازن للتَّفكير بما يخدم التوجُّه السياسيَّ والعقدي. ومن المعاهد الاستشراقية في إسرائيل:

١. معهد فان لير في القدس: ويَتبع هذا المَعهدَ مركزُ دراسات المجتمع العربي في إسرائيل الذي نشط في معهد فان لير في القدس، والذي أمدَّ إسرائيل على امتداد سنين طويلة بتشكيلة واسعة من الكتب التي تناولت الفلسطينيين في إسرائيل، في سياقات سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة وإقليميّة، وغير ذلك. هذه الكتب كُتبَت بالعبرية، وتُرجِم جزء منها إلى اللُّغة العربيّة. ومن هذه الكتب:

- الفلسطينيون في القرن العشرين.. نظرة من الدّاخل.
- الأنثروبولوجيا والفلسطينيون.
- الحياة السياسية للعرب في إسرائيل.
- المواطنون العرب في الصَّحافة العِبرية في إسرائيل.

٢. معهد أبحاث الأمن القومي (INSS): وهو من أهم المراكز البحثية والاستشراقية في إسرائيل، وقد تأسَّس هذا المعهد في سنة ١٩٧٧م، وتغيَّر اسمُه أكثرَ من مرة، حيث أُطلق عليه اسم "مركز يافا للأبحاث الاستراتيجية"

في عام ١٩٨٣م، ثم إلى "معهد أبحاث الأمن القومي" في عام ٢٠٠٦م. وهو الآن مؤسسة أكاديمية تابعة لـ "جامعة تل أبيب"، وقد اختطَّ المعهدُ لنفسه خُطَّتَين: الأولى، دراسة مجالات الأمن القومي "الإسرائيلي" والشرق الأوسط والمحيط الدولي، والثانية، دراسة قضايا الأمن والدِّفاع والسِّياسات[١].

ويُصدِرُ هذا المعهدُ تقريرًا سنويًّا بعنوان: "الأمن القومي الإسرائيلي الاستراتيجي"، ومن خلاله "يُحاول قراءةَ التحدِّيات والفُرَص التي تَقف أمامَ إسرائيل، على المستوى المَحلِّي والإقليمي والدّولي، فخلال السَّنوات الماضية شكَّلَ تقريرُ المعهد الملامحَ الرئيسية للسِّياسات الأمنية والاستراتيجية تجاه العديد من الجهات الإقليمية والدولية، خاصة فيما يتعلَّق بالأزمة السورية والصِّراع الإقليمي والتحوُّلات في المشهد السياسي العربي"[٢].

٣. معهد هرتسيليا: وهو معهد مُتعدِّد المجالات السياسية والاستراتيجية داخليًّا وخارجيًّا، كما أنَّه من المُنطلقات التي يَنطلق منها التَّفكيرُ الاستراتيجي الإسرائيلي، "تأسَّس المعهدُ عام ٢٠٠٠م، من أجل المساهمة في وضع سياسة وطنية لإسرائيل، ورفع مستوى عملية اتِّخاذ القرارات الاستراتيجية، وقد تَعاقبَ على رئاسته عدة أشخاص"[٣].

---

١ - انظر: أشرف بدر: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

٢ - منصور أبو كريم: مراكز الأبحاث في إسرائيل: القدرة والدور في التأثير في صناعة القرار.

٣ - منصور أبو كريم: مراكز الأبحاث في إسرائيل: القدرة والدور في التأثير في صناعة القرار.

وهذا المعهد له جهودٌ -من ضمن مهامِّه المتعدِّدة- تُعدُّ جهودًا استشراقية بالأساس؛ حيث "يهتمُّ بدراسة القضايا المُؤثِّرة في "إسرائيل"، بما في ذلك إعادة صياغة العقيدة الأمنية لـ "إسرائيل"، ومشروع "نحو نظام إسرائيلي جديد"، وإجراء استطلاعات للرأي العام في "إسرائيل" والدول العربية، ودراسات في عملية صنع القرار والاستراتيجيّات، بما يتعلَّق بالأمن القومي والسِّياسة الخارجية"[١]. فاستطلاعاتُ الرَّأي حول الدُّول العربية أو في الدُّول العربية، ودراسة السِّياسات الخارجية، وأهمُّها سياسات الدُّول العربية والإسلامية، تصبُّ في صميم الدِّراسات الاستشراقية، بدليل تمحوُر مجالات البحث في المركز على ثلاثة مجالات، "هي: الشَّرق الأوسط الكبير 'تقييم المخاطر الاستراتيجية الإقليمية الكُبرى'، والعلاقات الخارجية الإسرائيلية، والمنهجيات المُبتكَرة في مجال الأمن الوطني والإقليمي، حيث يَصدُر عن المَعهد تقريرُ الأمن والمَناعة القومية بشكل دوري"[٢]. وهذه المجالات الثلاثة هي بالأساس مجالات استشراقية بامتياز، تَقودنا إلى القول بأنَّ الاستشراق المُؤسَّسيَّ واضحٌ وضوح الشمس في سياق الاستشراق اليهودي المعاصر.

٤. مركز بيجن السادات للدِّراسات الاستراتيجية: تمَّ تأسيس هذا المركز عام ١٩٩٣ على يد الدكتور توماس هشت، وهو أحد قادة الجالية اليهودية في كندا،

١ - انظر: أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.
٢ - انظر: أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

والذي أنشـأ مركزَ أبحاث مستقلٍّ وغير حزبيٍّ، مرتبط بقسم العلوم السياسية في جامعة بار إيلان الإسرائيلية. سُمِّي المركز على اسم مناحيم بيغن وأنور السّادات، بسبب جهودهما في إحلال السَّلام وتسوية الصِّراع العربي الإسرائيلي[١].

يبحـث المركزُ في قضايا الأمن والسـلام، خاصّةً في المجـالات المتَّصلة بالأمن القومي الإسرائيلي والسِّياسـة الخارجيـة، ومختلف القضايا الإقليمية في منطقة الشَّرق الأوسط، ويأخذ بمنشوراته وتوصياته كبارُ صانعي القرار في المجال العسكري والمَدني، والمؤسَّسات ذات الصِّلة في وزارة الدِّفاع ووزارة الشـؤون الخارجية، وأعضـاء السِّـلك الدبلوماسي، والصحافة والأوسـاط الأكاديمية، وقادة الجاليات اليهودية في أنحاء العالم، والجمهور المُتعلِّم.

٥. مركـز دراسـات الأمن القومي: تأسَّـسَ المركزُ في "جامعـة حيفا" عام ٢٠٠٠م بهـدف تعزيز البحث والمناقشـة العامة فيما يتعلَّـق بالأمن القومي "الإسرائيلي"، ويهتمُّ مركزُ دراسـات الأمن القومي بتَطويـر البحوث مُتعدِّدة التَّخصُّصات وواسـعة النِّطاق، بحيث تَشـمل مجموعةً كاملـةً من مُكوِّنات الأمن القومي، السِّياسية والعسـكرية والاجتماعية والاقتصادية، والمساهمة في تشـكيل التصوُّرات لدى صُنّاع القرار والمسـؤولين في النِّظام السـياسي والعسكري، وذلك بهدف فَهمِ النِّظام الدّاخلي والسِّياق الإقليمي والدولي[٢].

---

١ - الصفحة الرسمية لـ "مركز بيجن السادات للدراسات الاستراتيجية" على الانترنت.

٢ - انظر أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

ويَسعى المركز إلى إضفاء الطَّابع المُؤسَّسيِّ على بناء علاقاتٍ مع مُؤسَّسات الأمن القومي في العالم، كما يُسهم عبر أبحاثه في تشكيل الخطاب العام المُتعلِّق بأمن "إسرائيل" القومي، وفي تَدريب المسؤولين وكبار الضُّبّاط في هذا المجال، بالإضافة إلى تدريب الأجيال القادمة من الباحثين[١].

٦. معهد مراقبة وسائل الإعلام الفلسطينية: يهتمُّ المعهدُ بدراسة المجتمع الفلسطيني إعلاميًّا وثقافيًّا وتعليميًّا. وقد تأسَّس عام ١٩٩٦م، على يد (إيتامار ماركوس - Itamar Marcus)، بغرض دراسة توجُّهات السُّلطة الفلسطينية، بياناتها ومواقفها على مستوى الإعلام العالمي، التي تتعلَّق بمَوقفها تجاه "إسرائيل" والصِّراع الإسرائيلي الفلسطيني وعملية السَّلام[٢].

تدور أهدافُ المعهد البحثية حول الكشف عما أسماهُ التَّحريضَ المُعادي للسّامية والعُنف والكراهية ضدَّ "إسرائيل"، وذلك على مستوى الإعلام والتَّعليم في مناطق السُّلطة الفلسطينية. يتم تَوزيع تقارير المعهد البَحثية على صانعي السِّياسات والقادة في "إسرائيل" والولايات المتحدة وأوروبا، ويَنشر المعهدُ أبحاثه بثلاث لغات، هي العبرية والإنجليزية والفرنسية،

---

١ - انظر أشرف بدر، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

٢ - مركز مراقبة وسائل الإعلام الفلسطينية، على الرابط التالي:
http://www.palwatch.org.il/pages/aboutus.aspx

وتتبع له قناة يوتيوب تحتوي على مئات أشرطة الفيديو. وتُستخدم النَّتائج التي يتوصَّل إليها المعهدُ في إعداد تقارير "مؤشر السَّلام وثقافة التَّحريض في السُّلطة الفلسطينية"، التي أُعِدَّت بانتظام من قبل وزارة الشؤون الاستراتيجية منذ ٢٠١٠م[١].

يَعمل مركز "مراقبة الإعلام الفلسطيني"Palestinian Media Watch ذراعًا دعائيةً لتَضليل النُّخَب السياسية والرأي العام العالمي حول الفلسطينيِّين، وانتزاع قرارات وقوانين وسياسات من حكومات العالم ضد الفلسطينيين[٢].

في إبريل عام ٢٠٠٨م، قَدَّم المعهد إلى لجنة الشؤون الخارجية، في مجلس النواب الأمريكي، تقريرًا خاصًّا بالنُّوّاب حول علاقات السُّلطة الفلسطينية مع أعداء الولايات المتحدة، وفي يناير ٢٠٠٨م، قَدَّم إلى البرلمان البريطاني تقريرًا حول استغلال المُساعدات المالية من بريطانيا في تعليم الكراهية ضدَّ اليهود والغرب[٣]. بما ابتدعه هذا المعهدُ من روايات مُحرَّفة غرضُها تحريض الغرب وأمريكا ضدَّ الحق العربي الأصيل في فلسطين.

---

١ - انظر: أشرف بدر: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.
٢ - انظر: عبير النجار: مركز مراقبة الإعلام الفلسطيني واستهداف شرعية النضال، ص٥٨.
٣ - انظر: أشرف بدر: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار.

٧. معهد هاري ترومان: تأسَّسَ هذا المعهدُ كأول معهد من نوعه في المنطقة في عام ١٩٦٥م، وسُمِّي على اسم الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) الدّاعم الرَّئيس له، ويَتَّكئُ على رافدين: الأول دراسة دول الشَّرق الأوسط، والثاني قضية الصِّراع العربي الإسرائيلي. لكنَّه لا يُهمِلُ مع ذلك الاهتمامَ بدراسة دول في أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وغيرها. علمًا بأنَّ هذا المعهد تابعٌ لمركز أبا إيبان للسِّياسة الدبلوماسية الإسرائيلية[١].

لكنَّ هذا المَعهد يَنتمي لطائفة القراءة الثَّقافية غير الخالصة، التي تَقرأ العربَ والمسلمين من زاوية يَهودية صهيونية صِرفة؛ خدمةً للمشروع الصهيوني، وإنْ تزيَّتْ بزيِّ التَّعايش والتَّسامح والدَّعوة للحوار والتَّواصل، بدليل أنَّه لم يَحدث أيُّ تقدُّم في مجال الصِّراع العربي الإسرائيلي، رغم فتحه بابَ المِنَح لباحثين دوليين مُحدَّدين في مجالات: الماجستير والدكتوراة ودراسات ما بعد الدكتوراة، ورغم مشاركة وزراء دوليِّين في نشاطاته، ورغم مشاركة صانعي القرارات في العديد من دول العالم[٢].

٨. مركز تامي شتاينمتس لأبحاث السَّلام: تأسَّس المركز عام ١٩٩٢م، وهو تابع لكلية العلوم الاجتماعية في جامعة تل أبيب. يَعتمد المركزُ طريقةَ تعدُّد المجالات البحثية، من أجل تَطوير الأبحاث والتَّفكير المَنهجيّ

---

١ - انظر: الصفحة الرسمية على الانترنت:

The Harry S. Truman Research Institute

2 - http://truman.huji.ac.il/?cmd=about

في المواضيع المُتعلِّقة بعملية صُنع السَّلام وفضِّ النِّزاعات، وخصوصًا الصِّراع العربي "الإسرائيلي". ويُشرف المركزُ على بنك معلومات حول أُطُر التَّعاون "الإسرائيلي" الفلسطيني، والإسرائيلي العربي، ويَعقد مُؤتمرات وورشات عمل، بالإضافة إلى نشر أبحاث تتعلَّق بهذا الموضوع[١].

٩. معهد ميتفيم (المعهد "الإسرائيلي" للسياسات الخارجية الإقليمية): أُنشِئَ هذا المعهد عام ٢٠١١م، وهو معهد للبحث والتفكير، وغرضُه إعادةُ تأسيس العلاقات "الإسرائيلية" في الشَّرق الأوسط وأوروبا ودول حوض البحر المتوسط. وهذا المعهدُ يتمُّ تمويلُه من خلال عدة صناديق مثل: "صندوق فريدرك أيبرت"، و "صندوق إسرائيل الجديدة"، ويَهدف إلى تحقيق الآتي:

أ. تشكيل السِّياسة الخارجية الإسرائيلية.

ب. تعزيز التَّعاون الإقليمي.

ج. تحقيق السَّلام بين "إسرائيل" ودول المنطقة[٢].

١٠. مركز موشيه دايان: أُنشِئَ المركزُ في عام ١٩٥٩م، ثم صار تابعًا لـ "جامعة تل أبيب" في عام ١٩٦٥م، ثم أُطلق عليه مركز "موشيه دايان"

1 - http://peace.tau.ac.il/index.php/201206-29-09-11-10-/about

2 - http://www.mitvim.org.il/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA/%D7%A4%D7%A8%D795%%D7%A4%D799%%D79C-%D790%%D7%A8%D792%%D795%%D7%A0%D799%

في ١٩٨٣م. وجهوده تصبُّ على دراسة الشَّرق الأوسط تحليلاً ونَقدًا وتقديمًا لِرُؤًى لصُنّاع القرار على المستوى السياسي والاقتصادي والثَّقافي والتَّاريخي وغيره[1]. ومن هنا تأتي خطورةُ مثل هذا المركز وغيره، لأنَّ هذه الرُّؤى لن تكون في صالح العرب والمسلمين، وإنما ستكون في صالح الكيان المحتلّ.

هذا المركز يَستغلُّ أنشطتَه المختلفة على تلك المستويات في تحقيق مكسب سياسي لدولة الكيان المحتلّ، والحقيقة أنَّ اسمَ المركز ذاته وحقيقةَ الشَّخصية التي أُطلق اسمُها عليه تُنبِئُ بالكثير والكثير من الفرضيات التي لن تكون في صالح العرب والمسلمين قاطبة. بدليل استعانة المَركز بالعديد من المُفكِّرين والباحثين المُتحدِّثين بلغات شتَّى: عربية وفارسية وتركية وإنجليزية وفرنسية وغيرها.

١١. معهد كوهين لدراسة تاريخ العلوم والأفكار وفلسفتها: وهو معهد للبحوث والدِّراسات العُليا، تابع لكلية العلوم الإنسانية في جامعة تل أبيب. أُنشِئَ على يد البروفسور (يهودا الكاناه - Yehuda Elkana) عام ١٩٨٣م، بالتَّعاون مع البروفسور (عاموس فونكنشطاين – Amos Fungstien). ويضمُّ طاقمُ المعهد اثني عشر مُحاضرًا مُثبَّتًا، بالإضافة إلى خمسةٍ آخرين مُبتدئين،

1 - http://dayan.org/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA%D799%%D7%A0%D795%

ويمَكث سـنويًّا في المعهد ثلاثةُ باحثين في دراستهم لما بعد الدكتوراة. ويُعتبر المعهدُ الأكثرَ فعالية والأوسع نشاطًا في تاريخ العلوم والأفكار وعلم الاجتماع في "إسرائيـل"، ويُعدُّ كذلك من بين المعاهد السِّـتة الرائـدة عالميًّا في مجال تخصُّصه[١].

وتنصبُّ اهتماماتُ المعهد في قضايا: تاريخ العلوم وفلسفة العلوم، والعلوم الرياضية، والعلوم التَّجريبيـة كالفيزياء والكمياء، وعلم الجيولوجيا، والعلوم الإنسـانية كعلـم الاجتماع والفلسـفة، مع التركيـز على العلوم عنـد العرب، والنَّظريات السِّياسية والاجتماعية[٢]. وهناك مراكز أخرى عديدة، منها:

١. المركز اليروشـيلمي: أُسِّـسَ في عـام ١٩٧٦م، وتَنصـبُّ اهتماماتُه في الجانب السِّـياسي، مثل قضايا: الإرهاب، والسِّـلاح النووي في الشرق الأوسـط، ووضع استراتيجيات لمواجهة دعوات مقاطعة إسرائيل، والدفاع عما يُسمِّيه حقوقَ "إسرائيل"[٣].

٢. المركز الإسرائيلي الفلسـطيني للأبحاث والمعلومات: أُسِّسَ بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في عام ١٩٨٨م بعام، ومَقرُّه القدس، وغرضُه مدُّ جسور

1 - http://www.mitvim.org.il/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA/%D7%A4%D7%A8%D795%%D7%A4%D799%%D79C-%D790%%D7%A8%D792%%D795%%D7%A0%D799%

2 - http://humanities1.tau.ac.il/cohn_ar

3 - http://jcpa.org.il/

التَّعاون بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، ومُؤسِّسُه (غرشون ياسكين)[١].

٣. معهد يروشليم لدراسة السِّياسات: تأسَّس عام ١٩٧٨م على يدِ كلٍّ من رئيس بلدية القدس (تيدي كوليك)، ورئيس "الجامعة العبرية" (إبراهام هيرمن)، يَستفيد من دراساته صانعو القرار والأكاديميُّون، ويهتمُّ بقضايا الصِّراع العربي الإسرائيلي، إضافةً إلى بعض القَضايا البيئيّة وقضايا الابتكار والنُّمُو[٢].

٤. معهد الاستراتيجيات الصُّهيونية: أُنشِئَ في ٢٠٠٥م، ويهتمُّ بأمرين: تحسين صورة إسرائيل في الخارج، ومواجهة عملية المقاطعة العربية والعالمية[٣].

٥. مركز إبراهام دانيال للحوار الاستراتيجي: وهو مركز تابع لـ "كلية نتانيا"، وتنصبُّ اهتماماتُه في دراسة الصِّراعات الإقليمية، ووضع حلول لها، بما يتناسب مع دولتهم. تقوم أنشطته على محاور: تنظيم المؤتمرات الدولية، وتأليف مجموعات تَواصل من ذوي الخبرات والمكانة العالمية، ونشر أوراق وبحوث ودراسات[٤].

٦. مركز شاشا للبحوث الاستراتيجية: تأسَّس هذا المركز في عام ٢٠٠٣م، وتنصبُّ اهتماماتُه في وضع رؤية مستقبلية للعلاقة الفلسطينية

---

1 - http://ipcri.org/index.php/about/about-ipcri/arabic

2 - http://www.jiis.org.il/?cmd=about.151#.V8kREPkrLIV

3 - http://izs.org.il/about-3

4 -http://www.netanya.ac.il/ResearchCen/StrategicDialogue/aboutdialogue/Pages/default.aspx

الإسرائيلية عام ٢٠٥٠م[١].

٧. مركز فلورسهايمر: أُسِّس في عام ٢٠٠٧م، ويَتبع لـ "معهد الدراسات الحضرية والإقليمية"، بـ "كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة العبرية"، يقوم بالعديد من الأنشطة، ويدرس على الصعيد العربي جوانبَ الحكم والتَّخطيط في المنطقة بهدف إفادة صانعي القرار السِّياسي[٢].

٨. مركز تراث إسحاق بن تسفي: يركِّز على كيفية التَّطبيع مع الدول العربية، أو ما أسماه التَّعايش والحوار والتَّواصل معهم.

٩. المركز اليهودي العربي: يَتبنَّى فكرةَ التَّطبيع والتَّواصل.

ثالثًا: كيف نواجه المراكز الاستشراقية الإسرائيلية؟

لا شكَّ في أنَّ هذه المراكز التي أشرنا إلى بعضها -وهو قليل بالنِّسبة لعددها- تمارس الأغاليط ضدَّ الإسلام وعلومه وتاريخه وثقافته؛ خدمةً لفكرة الصهيونية العالمية التي يُريدون لها أن تُسيطِر على الشُّعوب العربية وتتحكَّم في مقدراتها. ومن ثَمَّ فمن الواجب أن نُعيرَها الاهتمامَ الكافي.

ويُمكِن القولُ إنَّ أوَّلَ ما يجب علينا فعلُه هو إنشاء المراكز البحثية العربية

1 - http://shasha-center.huji.ac.il/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA-%D794%%D79E%D7%A8%D79B%D796%

2 - http://fips.huji.ac.il/

والإسلامية التي تُواجهُ هذه المَراكزَ الإسرائيلية، وتعمل على تَفنيد آرائها ومواقفها والردِّ عليها بالدَّليل العقلي والمعرفي، فضلاً عن الدَّليل العقدي الدِّيني. حيث إنَّ هذا يَضمن لنا تَحجيمَ دور هذه المراكز وتأثيرها في الفكر الغربي المعاصر، كما يَضمن لنا فهمَ نواياها ومُخطَّطاتها المستقبلية.

وهنا يأتي دورُ حكومات الدُّول العربية والإسلامية، التي يَجب عليها أن تُسهِّلَ وتُيسِّرَ إنشاء هذه المراكز، وتُقدِّمَ لها خدماتها، من أجل فهم مُخطَّطات دولة الكيان السياسية خاصّةً، علمًا بأنَّ المراكز الاستشراقية الإسرائيلية تُقدِّمُ معلوماتها لصانع القرار الذي في الغالب يَضعه في اعتباره وهو بصدد رسم وتنفيذ مُخطَّطاته. ومن ثَمَّ فإنَّ الحكومات العربية والإسلامية إذا هيّأت الجَوَّ العلمي والبحثي المناسب لهذه المراكز العربية فسيَكون لديها حصيلةٌ من المعلومات التي تُقدِّمُها لها هذه المراكز لفهم الموقف الإسرائيلي واتِّخاذ القرار المناسب له. وممّا لا شكَّ فيه "أنَّ نسبة الاهتمام بالبحث العلمي في الوطن العربي هي الأدنى بينَ الأمم والشُّعوب، رغم وفرة المصادر المالية، فالبحوث التي يُنجزُها الطَّلَبة العربُ داخل الجامعات العربية، أو في المراكز أو المعاهد المُلحَقة بها، أو المُستقلّة المَحسوبة على التَّعليم العالي، هي في مُعظمِها بحوثٌ يَغلبُ عليها الطابعُ النَّظريُّ الشُّمولي، وتَطغى عليها العُمومية، ولا تُبنى على أسئلة جادّة. فلا يُنكِرُ أحدٌ أنَّ واقع البحث العلمي في العالم العربي مُتأخِّرٌ وضعيف على عدة مستويات، "بسببِ مجموعِ العوامل السَّلبية التي تَحُدُّ من كفاءات

الباحث العربي، وتُقلِّلُ مِن مَردوديّته العِلمية والبَحثية"[١].

ويجبُ أن يتكاتف العلماءُ والمفكرون والباحثون على تدشين عِلمٍ جديد معاصر على غرار علم الكلام، يُدافع عن الإسلام قُرآنًا وسُنّةً، وعن العلوم والتاريخ الإسلامي، ويذبُّ عنه ويَردُّ الشُّبهات والأباطيل التي تَطرحها هذه المراكز الاستشراقية التي تُنشئُها دولةُ الكيان الغاصب. بحيث يكون موضوعه الآتي:

١ - تفنيد الشُّبهات والأباطيل التي تَطرحها هذه المراكز.

٢ - بيان الرأي الصَّحيح إسلاميًّا.

٣ - نقد العقائد والآراء المُخالِفة عندَ مَورِدِ الشُّبهة.

---

١ - الحسين بشوك: الباحث والبحوث العلمية في الوطن العربي.

الخاتمة

يُمكِـن القولُ إنَّ هناك مجموعة من النتائج التي نسـتخلصها من سـطور هذا الكتاب، والتي تُلخِّص حالةَ الاسـتشراق اليهودي المعاصر، وتَكشف لنا عن حقيقة الدَّور الذي يقوم به، وما يجب علينا نحوَه.

وأُولى هـذه النتائـج هي أنَّ الاسـتشراق اليهـودي المعاصر هـو رَبيب الاسـتشراق اليهـودي القديم، بل لا ندَّعـي كذبًا إذا قُلنا إنَّـه الابنُ المُدلَّل للاسـتشراق الغربي عامة، منذ أن نشأ الاستشراق اليهودي في كنفه وشرب مـن مَعينه، وهـذه حقيقةٌ لا تَخفى على أحدٍ من الدارسـين. وربمَّا فسَّرَ لنا هذا تأثيرَ الاستشراق اليهودي القديم والمعاصر في الغرب عامّةً، بل يُمكِنُنا القولُ إنَّ الاسـتشراق اليهودي حلقةٌ من حلقـات الصِّراع الغربي اليهودي/ الإسلامي؛ ذلك أنَّه واحدٌ من المُخطَّطات التي اختطَّها الغربُ للقضاء على الإسلام.

كما يُمكِنُ القولُ إنَّ الاستشراق اليهودي المعاصر هو تكملةٌ للاستشراق اليهـودي القديم، الذي بـدأت بواكيرُه مع بَدْءِ بواكير الاسـتشراق الغربي، ذلـك أنَّ الاسـتشراق اليهـودي المعاصر يَسـير عـلى النَّهج نفسـه الذي وضعَـه آباؤه وأجـداده، وفي كثير من القضايا والشُّـبهات التي يَطرحها هو استعادةٌ واسترجاع لقضايا وشُبهات قديمة طرحَها الآباء والأجداد من قبل.

فالاستشراق الإسرائيليُّ أو اليهودي المعاصر في الغرب يُكرِّرُ نفسَه ويُكرِّر ترّهاته، وإن اختلفَت وسائلُه بعض الشيء، وإن تزيَّى بزيٍّ جديد تحت مُسمًّى جديد.

ومن النتائج أيضًا أنَّ الاستشراق اليهودي مرَّ بمجموعة من المراحل: الاستشراق اليهودي القديم، الاستشراق الصهيوني، الاستشراق الإسرائيلي، لكن هذه المراحل مُتداخلةٌ بعض الشَّيء؛ نتيجة الخصائص التي تَجمعها، ونتيجة بعض الأشخاص الذين مارسوا الاستشراقَ فيها، كـ (برنارد لويس) الذي نَرى فيه أنَّه تطبيقًا لمراحل الاستشراق الثلاث، بسبب طول المدة الزَّمنية التي عاشها (١٩١٦م - ٢٠١٨م) ومعايشته لهذه المراحل ومشاركته فيها. كما أنَّ التَّداخل الزَّمني يَبرزُ بقوة بين الاستشراق الصهيوني والاستشراق الإسرائيلي، فلم يأت الأخير ليُلغي الأوَّلَ، ولكن لِيَسيرَ الاثنان في نَهجهما حتى الآن؛ ذلك أنَّ الاستشراق الصهيوني ليس وَقفًا على أبناء الكيان الغاصب، بل يَحمل لواءَه كثيرٌ من الغَرب حتى الآن أفرادًا ومؤسسات، في حين يمُثِّل الاستشراقُ الإسرائيلي دولةَ الكيان من الدّاخل، ومن ثَمَّ فالاثنان موجودان ومُستمرّان من الناحية التاريخية والمَضمون.

ومن الناحية المنهجية فقد كشفَت لنا السُّطور السّابقة المناهجَ التي استخدمَها الاستشراقُ اليهودي المعاصر، فقد استخدم المناهجَ بطريقة شخصانيّةٍ غير عِلميّة، حتى تتحقَّق الأهدافُ المُسبقة التي يَعمل عليها، وهي لا تقفُ عند منهجٍ واحد، بل تتعداهُ إلى مجموعة من المناهج، وقد

اعتمدوهـا كما اعتمدها غيرُهم من أرباب الاسـتشراق الغـربي واليهودي القديـم. ومن ثَـمَّ فقد وجدنا مناهـجَ من نحو: المنهج الشـكيِّ، المناهج الإسـقاطي، منهـج التأثـير والتأثُّر، منهـج المقابلـة والمطابقـة، المنهج التحليلي، المنهج النَّفسي الذِّهني، المَنهج النَّقدي.

ويَكفي أن نعلـمَ أنَّ صفةَ العلمية انتفَت عن هذه المناهج، لا لكونها في ذاتها غير علميّة، وإنَّما بالنَّظر إلى مُسـتخدميها الذين نحَوا بها نحوًا مُخِلًّا أخرجَها عن سـياقها المنهجي، الذي كان عليها أن تَسـير فيه، إلى سـياق آخـر عبثيٍّ فَوضويٍّ لا يأتي بنتائج يَقبلهـا العقلُ والمنطق، وإنَّما يَقبلها كلُّ غاشٍّ مُضلِّل يَجد في نفسَـه هوى لاتِّهام الإسلام والمسلمين؛ لعقدة لديه. ولو كان هؤلاء المسـتشرقون يَبغون غايةً علمية لاسـتخدموا هذه المناهج في سـياقاتها الموضوعة لها، حينها ستكون النتائج مختلفة كلّيًّا عن النتائج المُضلِّلة التي انتهَوا إليها. وبالنَّظر إلى غايات الاستشراق اليهودي المعاصر فإنَّهـا انحـصرت في ثـلاث:

١ - الغاية العقدية.

٢ - الغاية السياسية.

٣ - الغاية الثقافية غير الخالصة.

فكلُّ كتابات الاستشراق اليهودي المعاصر- والقديم أيضًا بلا شكّ- تسيرُ في اتِّجاه تحقيق واحدة من هذه الغايات إن لم يكن كلّها.

فالغايـة العقدية وحـبُّ الانتصار لكلِّ ما هو يهـوديٌّ عقدي كانت غالبةً

على كتابات المستشرقين اليهود المعاصرين، وخاصة الإسرائيليين، من أمثال: (أوري روبين) و (شالوم زاوي) وغيرهما من زعماء الاستشراق الإسرائيلي. وهي غاية قديمة معاصرة، حيث وجدناها عند الاستشراق الغربي والاستشراق اليهودي القديم من أمثال: (سان كلير تيسدال) كمستشرق غربي، و (إبراهام جايجر) كمستشرق يهودي قديم.

وقد بيَّنا بالدَّليل كيف انطلق (روبين وزاوي) في كتاباتهما من منطلق عقدي بحت، لا يُؤمِنُ إلا بالحقيقة الدِّينية اليهودية فقط، وبناءً عليه فقد أرجعوا كلَّ ما هو إسلاميٌّ، خاصةً ما ورد في القرآن الكريم، إلى مصادر يهودية، وقد وقفوا كثيراً عند القَصص القرآني مدَّعين أنَّه مأخوذ من القَصص اليهودي. لكنَّنا ردَدْنا هذه الأكاذيب من جانب عقلي وجانب ديني.

كذلك استحوذت الغايةُ السِّياسية على كتابات هؤلاء المُستشرقين، فقد بلغت هذه الغايةُ مبلغًا كبيراً من اهتماماتهم، حتى أنَّها قد تكون غلبت الغايةَ العقدية في قطاعات عديدة منها. إنَّ الغاية السياسية التي تُرسِّخُ للمشروع الصهيوني، وتَثبيت أركانه والدِّعاية له، وتَشويه كلِّ ما عداه في الشَّرق، كانت الشُّغلَ الشاغل عند هذا الاستشراق. ومن ثَمَّ فإن الاستشراق اليهودي المعاصر عندما انطلق في دراسة الإسلام، عُلومًا ومجتمعاتٍ، فإنَّه انطلق مُرتكِزاً على هذه الرَّكيزة ركيزة الغاية السياسية، في كثير من جوانبه.

هذا الأمر يَقودنا إلى أن هذا الاستشراق كان يُحلِّق بجناحَين: الغاية العقدية، والغاية السِّياسة، وفي إطار هاتَينِ الغايتَينِ استُخدِمَتِ المناهجُ

التي أشرنا إليها، وذلك كون هذه المناهج هي المَعبَرُ الذي من خلاله تَعبرُ تلك الغاياتُ.

ويُضاف إلى هاتَين الغايتَينِ غايةٌ أقلُّ أهميّةً، بل نَرى أنَّها استُخدمت في بعض الدِّراسات من أجل تمرير غاية عقدية أو غاية سياسية، وهي الغاية الثَّقافية غير الخالصة، وكونها غير خالصة فذلك لأنَّها لم يكن الهدف الثَّقافي أو العلمي -وإن تزيَّت به ظاهريًّا وشكليًّا- وإنَّما كان الهدفُ إمّا تحقيقُ نصرٍ عقديٍّ أو سياسيٍّ. ويَندرج تحتَ هذه الغاية بعضُ كتابات برنارد لويس حول التاريخ الإسلامي، وبعض التَّيارات والقضايا الإسلامية، وكذلك بعض أعمال المستشرقة اليهودية (حافا لازاروف يافيه).

وتَبقى من أهمِّ النتائج التي توصَّل إليها هذا البحث هي بيان الخطورة الناتجة عن المراكز الاستشراقية الإسرائيلية، خاصّةً وقد تحوَّلَ هذا النَّوع من الاستشراق من مُجرَّد استشراق فرديٍّ إلى عمل مُؤسَّسيٍّ تَقوم به المُؤسَّسات الحكومية الإسرائيلية وغير الحكومية، وقد ذكرنا في هذه الدِّراسة العديدَ منها مُبيِّنينَ خطورتَها وما تقوم عليه من أهداف، وطبيعة الدِّراسات والموضوعات التي تتبنّاها. علمًا بأنَّ هذه المراكز مُتعدِّدة المَشارب والاتِّجاهات والتَّخصُّصات، لكنَّها تَجتمع على غاية واحدة وهي التَّمكين للمُخطَّط الصهيوني في الشرق كهدفٍ سياسيٍّ رئيس.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

١. القرآن الكريم.

٢. أبو خضير، ناصر الدين، ترجمات القرآن الكريم إلى العبرية .. ترجمة روبين نموذجًا مجلة العربيَّة والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦م.

٣. أبو كريم، منصور، مراكز الأبحاث في إسرائيل: القدرة والدور في التأثير في صناعة القرار، مجلة آراء حول الخليج، العدد ١٣٩، تموز/ يوليو، ٢٠١٩م.

٤. إدريس، محمد جلاء، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٥. إدريس، محمد جلاء، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، القاهرة، الناشر العربي للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٧. البار، محمد علي، الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم – دراسة مقارنة، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى،

١٩٩٠م.
٨. بارت، رودي، الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة، ترجمة وتحقيق مصطفى ماهر، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م.
٩. بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
١٠. بخوش، عبد القادر، مناهج الاستشراق المعاصر في الدراسات الإسلامية، الكويت، دار الضياء، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
١١. بدر، أشرف، مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها في صناعة القرار، تركيا، مركز رؤية للتنمية السياسية، ٢٠١٦م،
١٢. بدوي، عبد الرحمن، دفاع عن محمد ضد منتقديه، تر. كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب، ٢٠٠٥م.
١٣. البكاري، كمال، عرض ومراجعة: الاستشراق والمشروع الصهيوني، مجلة الاجتهاد، العدد ٥٠-٥١.
١٤. بلاشير، ريجيس، القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، نقله إلى العربية رضا سعادة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
١٥. ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٦. البهنسي، أحمد، التعليقات والهوامش لترجمة أوري روبين العبرية لمعاني القرآن الكريم، دراسة نقدية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، رسالة

ماجستير غير منشورة بتاريخ ٢٠١٢م.
١٧. البهنسي، أحمد، كتاب مصادر يهودية في القرآن للمستشرق شالوم زاوي - عرض وتقديم، مجلة القرآن والاستشراق المعاصر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
١٨. بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، لبنان - بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٩. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد حلاق، ومحمود الأطرش، بيروت - دمشق، دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٢٠. تيسدال، سان كلير، المصادر الأصلية للقرآن، ترجمة عادل جاسم، بغداد - بيروت، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
٢١. الجندي، أنور، عالم الإسلام المعاصر، القاهرة، دار الأنصار، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
٢٢. جولدزيهر، اغناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر. يوسف موسى وآخرين، القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٣. الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٢م.
٢٤. حسن ظاظا، من التخبط اليهودي يهود المرّان، السعودية، مجلة

الفيصل، ١٩٩٧م، العدد ٢٤٧.

٢٥. حسن، محمد خليفة، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية: عمادة البحث العلمي ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٦. حسن، محمد خليفة، المدرسة اليهوديّة في الاستشراق، مجلة رسالة المشرق، العدد ١، ٢٠٢٢م.

٢٧. حسن، محمد خليفة، مقدمة ترجمة كتاب الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ترجمة محمد طه عبد الحميد، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٨م.

٢٨. الديبو، إبراهيم أحمد، ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٣، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٧م.

٢٩. الربيعي، نبيل، تاريخ يهود الخليج، دار الرافدين، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٣٠. زاوي، شالوم، ترجمة وتعليق لسورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة للمستشرق الجزائري الإسرائيلي أندريه شالوم زاوي، من خلال كتابه (مصادر يهودية بالقرآن)، تر. العياشي العدراوي، مجلة دراسات استشراقية، صيف ٢٠٢٢م- ١٤٤٣هـ.

٣١. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع

الحضاري - كتاب الأمة، القاهرة، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٢. الزيني، محمد عبد الرحيم، الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية، مصر، دار يقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٣٣. سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، الناشر: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠٦م.
٣٤. السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، تح. على محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد، بيروت - لبنان، الدار العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٣٥. السيوطي، جلال الدين؛ والمحلي، جلال الدين، تفسير الجلالين، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
٣٦. الشامي، عباس علي، يهود اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٧. شباير، هاينريش، قصص أهل الكتاب في القرآن، ترجمة وتقديم وتعليق نبيل فياض، بيروت، دار الرافدين، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
٣٨. الشحود، علي بن نايف، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، طبعة المكتبة الشاملة الذهبية، ٢٠٢٢م.
٣٩. الشرقاوي، محمد عبد الله، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الهداية، ١٩٨٩م.
٤٠. شوق، شاكر عالم، ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين

فيهـا، مجلة دراسـات، الجامعة الإسـلامية العالمية، شـيتاغونغ، المجلد الرابع، عدد ديسمبر، ٢٠٠٧م.

٤١. ظاظا، حسـن، الفكر الدينـي الإسرائيلي، القاهـرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١م.

٤٢. ظاظا، حسـن، طقوس الحج عند اليهود، السعودية، مجلة الفيصل، ١٩٩٤م، العدد ٢١٠، ص ٧.

٤٣. عبد الكريم، إبراهيم، الاسـتشراق وأبحاث الـصراع لدى إسرائيل، عمان، دار الخليل للنشر ١٩٩٣م.

٤٤. عبد الملك، أنور، الاستشراق في أزمة، بيروت، مجلة الفكر العربي، العدد ٣١، ١٩٨٣م.

٤٥. عثـمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الإسـلامية، مؤسسـة الرسـالة، الطبعة السادسة عشرة، ١٩٩٢م.

٤٦. العدراوي، العياشي، ترجمة وتعليق لسـورة الفاتحة وآيات من سورة البقـرة للمسـتشرق الجزائـري الإسرائيلي أندريـه شـالوم زاوي، من خلال كتابه (مصادر يهودية بالقرآن)، مجلة دراسـات اسـتشراقية، صيف ٢٠٢٢م-١٤٤٣هـ.

٤٧. العظم، جلال صادق، الاسـتشراق والاسـتشراق معكوسًا، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨١م.

٤٨. غـراب، أحمـد عبـد الحميـد، رؤية إسـلامية للاسـتشراق، طبعة

برمنجهام، المنتدى الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٤٩. القحطاني، عبد الله بن ناصر، العبادة في الديانة اليهودية، رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، غير منشورة.
٥٠. لازاروس يافيه، حافا، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، تر. محمد طه عبد الحميد، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية - مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٨م.
٥١. لويس، برنارد، أزمة الإسلام - الحرب الأقدس والإرهاب المدنس.. رؤية المحافظين الجدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، تر. حازم مالك محسن، بغداد، دار صفحات للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٥٢. لويس، برنارد، الإيمان والقوة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط، تر. أشرف محمد كيلاني، دمشق، دار الكتاب العربي، ٢٠١٧م.
٥٣. لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تعريب نبيه أمين فارس، محمود يوسف زايد، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٤م.
٥٤. لويس، برنارد، اليهود في ظل الإسلام، تر. حسن أحمد بسام، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٩٨م.
٥٥. لويس، برنارد، مستقبل الشرق الأوسط، بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٥٦. لويس، برنارد، هوامش على قرن مضى..خواطر مؤرخ مهتم بالشرق الأوسط، تر. عبد الله الأسمري، دار الرافدين، الطبعة الأولى، ٢٠٢٣م.

٥٧. لويس، برنارد، أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، تر. محمد عناني، طبعة سطور، ٢٠٠٣م.

٥٨. لويس، برنارد، الإسلام في التاريخ.. الأفكار والناس والأحداث في الشرق الأوسط، ترجمة مدحت طه، مراجعة وتقديم أحمد كمال أبو المجد، آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.

٥٩. محمد كامل عياد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء ٤، المجلد ٤٤، أكتوبر، ١٩٦٩م.

٦٠. محمد، صبحي عبد المنعم، المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، المجلد ١٣، العدد ١٣، يونيو ٢٠٠٥م.

٦١. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٦٢. المطبقاني، مازن، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، البشير للثقافة والعلوم، الأولى، ٢٠١٩م.

٦٣. المطبقاني، مازن، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.. برنارد لويس نموذجًا، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥م.

٦٤. المطعني، محمد عبد العظيم، أوروبا في مواجهة الإسلام .. الوسائل والأهداف، القاهرة، مكتبة وهبه، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٦٥. الموحي، عبد الرازق، العبادات في الأديان السماوية، دمشق، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٢م.

٦٦. مونتجمري، وات وليام، محمد في مكة، تر. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

٦٧. النجار، عبير، مركز مراقبة الإعلام الفلسطيني واستهداف شرعية النضال، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢٨٥- ٢٨٦، خريف- شتاء ٢٠٢١م.

٦٨. النصراوي، عادل عباس، محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، السنة الثالثة، شتاء ٢٠١٦م.

٦٩. الهواريـن، ربحي إسماعيل ربحي، الاستشراق الإسرائيلي من ١٩٤٨- ٢٠١٨: دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ٢٠٢٣م.

٧٠. هويدي، أحمد محمود، مدخل إلى الاستشراق ومدارسه، القاهرة، دار الثقافية العربية، ٢٠١٦م.

٧١. هيلات، علاء؛ والجمل، محمد، الدور الوظيفي المادي في تصور اليهود للإله من خلال سفر التكوين، دراسة تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم، عمان - الأردن، مجلة المنارة، المجلد ٢١، العدد ٤، ٢٠١٥م.

المراجع الأجنبية

1. Itani, Talal, The Quran Translated To English, Published By Clear

Quran, Dallas, Beirut, 2000.

2. Katsh, Abraham, Judaism in Islam, New York University Press; USA, 1954.

3. Morrison, Robert G., Natural Theology and the Qur'an, journal of qur'anic studies, 2013.

4. Rubin, Uri, Between Bible and Qur'an: The Children of Israel and the Islamic Self-Image , The Darwin press. ING , PRINCETON , NEW GERSEY , 1999.

5. Wherry, E. M, M. A, The Quran Comprising Sal's Translation, and Preliminary Discourse, London, 1896.

المواقع والروابط الألكترونية

1. http://dayan.org/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA%D799%%D7%A0%D795%

2. http://fips.huji.ac.il/

3. http://humanities1.tau.ac.il/cohn_ar

4. http://izs.org.il/about-3

5. http://jcpa.org.il/

6. http://peace.tau.ac.il/index.php/201206-29-09-11-10-/about

7. http://shasha-center.huji.ac.il/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA-%D794%%D79%E%D7%A8%D79%B%D796%

8. http://www.jiis.org.il/?cmd=about.151#.V8kREPkrLIV

9. http://www.mitvim.org.il/he/%D790%%D795%%D793%%D795%%D7%AA/%D7%A4%D7%A8%D795%%D7%A4%D799%%D79%C-%D790%%D7%A8%D792%%D795%%D7%A0%D799%

10. http://www.netanya.ac.il/ResearchCen/StrategicDialogue/aboutdialogue/Pages/default.aspx

11. https://ar.timesofisrael.com/topic/

12. https://manar.com/page-39944-ar-ar-ar-ar.html

13. https://mukhtaraat.palestine-studies.org/ar/node/10747

14. https://www.csrgulf.com/202227/11//

15. The Harry S.Truman Research Institute http://truman.huji.ac.il/

16. The Israel/ Palestine Center for Research and Information: http://ipcri.org/index.php/about/about-ipcri/arabic

17. أبـو غديـر، محمـد محمود، ترجمـة أوري روبـين لمعاني القـرآن الكريم بالعبرية، على الرابط التالي: http://www.alhiwartoday.net/node/565

18. أحمـدي، فاطمـة جـان، الاسـتشراق اليهـودي.. هيمنة على الدراسـات

الإسلامية في الغرب، ترجمة عماد الهلالي، دراسة منشورة على الموقع التالي: https://nosos.net/

19. بشوك، الحسين، الباحث والبحوث العلمية في الوطن العربي، منظمة المجتمع العربي، أكتوبر 2016م، على الرابط التالي: https://arsco.org/articles/article-detail-14688/

20. البهنسي، أحمد، الاستشراق الإسرائيلي... الإشكالية والسمات والأهداف، مقال منشور على الرابط التالي: https://vb.tafsir.net/tafsir35662/#.Xj3GYtSF7wc

21. البهنسي، أحمد، الاستشراق والاستشراق الإسرائيلي (2/1)، حوار منشور على الرابط التالي: https://tafsir.net/interview/18/al-astshraq-2-walastshraq-al-isra-iyly-1

22. البهنسي، أحمد، قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، على الرابط التالي: https://tafsir.net/article/5241/qss-al-qr-aan-fy-ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-lshalwm-zawy-qra-at-thlylyt-nqdyt-lnmadhj-mkhtarh

23. البهنسي، أحمد، كتاب مصادر يهودية بالقرآن للمستشرق شالوم زاوي، عرض وتقويم على الرابط التالي: https://tafsir.net/article/5198/ktab-msadr-yhwdyt-balqr-aan-llmstshrq-shalwm-zawy-ard-wtqwym

24. حداد، محيي الدين، حروب الظل: كيف تساهم مراكز الأبحاث الإسرائيلية

في حوكمة صناعة القرار السياسي؟ دراسة منشورة على الرابط التالي: https://www.csrgulf.com/2022/11/27/

25. العلوي، أحمد بابانا، المستشرقون والدراسات القرآنية، على الرابط التالي: https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D985%D8%B%84%D986%88%D9%82%D9%3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D9

26. ما ولاهم عن قبلتهم.. شبهة السفهاء، على الموقع التالي: https://islamonline.net/

27. مركز بيجن السادات للدراسات الاستراتيجية 2016م على الرابط التالي: http://besacenter.org/hebrew/about/

28. مركز مراقبة وسائل الإعلام الفلسطينية، على الرابط التالي: http://www.palwatch.org.il/pages/aboutus.aspx

الفهرس

٥ **مقدمة**

- **أهداف الدراسة** ٦
- **الدِّراسات السابقة** ٧
- **إشكاليّة الكتاب** ٩
- **محاور الدراسة** ١٠
- **المنهج المُعتمَد** ١١
- **أولًا: تعريفُ الاستشراق اليهودي المعاصر ونقدُه** ..... ؟؟
- **ثانيًا: بين الاستشراق اليهودي والاستشراق الغربي ونقدهما** ١٥
- **ثالثًا: نقد أنواع الاستشراق اليهودي** ١٨

٢٣ **الفصل الأوّل: نقد مناهج الاستشراق اليهودي المعاصر**

- **أولًا: نقد المَنهج الشكي** ٢٦
- **ثانيًا: نقد منهج التأثير والتأثُّر** ٣١
- **ثالثًا: نقد منهج المقابلة والمطابقة** ٤٣
- **رابعًا: نقد المنهج الإسقاطي** ٦٢
- **خامسًا: نقد المنهج التحليلي** ٦٥
- **سادسًا: المنهج التأريخي** ٦٧

٧٥ **الفصل الثاني: نقد غايات الاستشراق اليهودي المعاصر**

- أولًا: نقد الغاية العقدية ٧٧
- ثانيًا: نقد الغاية السياسية ١١٩
- ثالثًا: نقد الغاية الثقافية غير الخالصة ١٤٣

١٥١ **الفصل الثالث: الاستشراق اليهودي المؤسَّسي**

- أولًا: مراكز البحوث والدراسات الإسرائيلية ١٥٣
- ثانيًا: غايات هذه المراكز الاستشراقية ١٥٣
- ثالثًا: كيف نواجه المراكز الاستشراقية الإسرائيلية؟ ١٦٠

١٧٥ **الخاتمة**

١٨٠ **المصادر والمراجع**

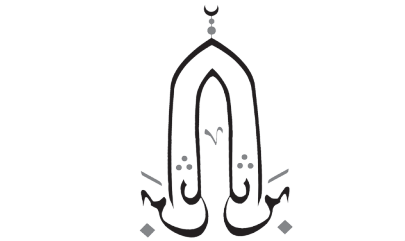

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والإنساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

في هذا الكتاب:

هـذا الكتاب هـو محاولةٌ لكشـف النِّقاب عن الاسـتشراق اليهوديِّ المعاصر، وموقعِه بالنِّسبة لسياق الاستشراق اليهودي القديم خاصّةً، والاسـتشراق الغربيِّ عامّـةً، مع بيـان المناهجِ المُضلِّلة التي يَسـتند إليها، والغاياتِ الخبيثة التي يَنطلق إليها ويَسعى نحوَها. حيث يَعتمد الاسـتشراقُ اليهوديُّ المعاصر على مناهج من نحو: المنهج الشكيِّ، والتأثـير والتأثُّر، والمُقابَلة والمُطابَقة، والمنهج الإسـقاطي، والمنهج التَّحليـلي، والمنهج التاريخـي، وهي مناهجُ اعتمدَهـا في إطار غير علميٍّ كسـابقه، لكي يُحقِّق غاياتِه التي يَرتئيها، وأهمُّها الغايةُ العقدية التي تُملي عليه الانتصارَ قَسرًا لليهودية كديانةٍ، والغايةُ السِّياسية التي تُوجِّهُه إلى محاولة التَّسـويغ لمشروع دولـة الكيان الغاصب، والغايةُ الثَّقافية غير الخالصة التي تَدفعُه إلى السَّعي لإقامةِ جسورٍ من التَّطبيع، الذي لا تتقبَّلُه الشُّـعوب العربية والإسـلامية. كما يُحاول الكتاب أن يَقف على حقيقة المراكز البحثية الاسـتشراقية الإسرائيلية المعاصرة، مُبيِّنًا خطرَها، وكيفيّةَ مُواجهتِها.

- الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز -

Baratha Center for
Studies and Research